بالتيلد(٦٥٧-٦٧٣م): من العبودية إلى عرش الميروفنجيين ودورها في الإصلاح الديني والسياسي.

"Balthild (657–673 A.D.) : From Slavery to the Merovingian Throne and Her Role in Religious and Political Reform"

د. انجي محمد محمد حلمي

مدرس تاريخ العصور الوسطي - كلية الآداب- جامعة بنها

ملخص:

يتناول هذا البحث تسليط الضوء على الملكة الميروفنجية بالتيلد، التي وصلت إلى مملكة الفرنجة كجارية أسيرة، ثم أصبحت خادمة لدى عمدة القصر الميروفنجي إرشنوالد، وتزوجت لاحقًا من الملك الميروفنجي كلوفيس الثاني، لتصبح ملكة، وتنجب ثلاثة أبناء. وبعد وفاة زوجها، تولت الوصاية على العرش خلال فترة حكم ابنها .

وتوضح الدراسة أيضًا مسيرة إنجازات بالتيلد، والتي من أبرزها الإصلاحات الدينية التي قامت بها في المملكة الميروفنجية، حيث أدركت أن نجاح الحياة الدينية يُعَدّ أساسًا لنجاح الحياة السياسية. ومن أبرز أعمالها، تحرير العديد من الجماعات الرهبانية في الأديرة من سلطة الأساقفة، وجعلها خاضعة لرؤساء الأديرة بدلًا من الأساقفة. كما دعمت الكنائس والأديرة، ومنحتها مساحات واسعة من الأراضي .

ومن بين إصلاحاتها أيضًا، أنها جعلت الكنائس التي تضم رفات القديسين تابعة للأديرة نفسها، لا لسلطة الأساقفة. وقد أسست عددًا من الأديرة الجديدة، من بينها دير "شيل"، الذي أصبح ملاذها خلال الخمس عشر سنوات الأخيرة من حياتها .

كما قامت بأعمال أخرى مهمة، مثل تحرير العبيد، ومكافحة السيمونية (بيع المناصب الكنسية)، وقد سعت إلى لمّ شمل الممالك الفرنجية من خلال تزويج أحد أبنائها من ابنة ملك أوسترازيا. وإلى جانب ذلك، كان لها دور اجتماعي بارز تمثل في تقديم الصدقات والتبرعات للفقراء.

الكلمات المفتاحية: الملكات الميروفنجية– بالتيلد– الإصلاحات الدينية الفرنجية– كلوفيس الثاني– محاربة السيمونية.

This study sheds light on the Merovingian queen Balthild, who arrived in the Frankish kingdom as a captured slave. She later became a servant in the household of the Merovingian Mayor Palace, Erchinoald, and subsequently married King Clovis II. This made her the queen who gave birth to the king’s

three sons. After the death of her husband, she assumed the regency during the reign of one of her sons.

The study also discusses Balthild's accomplishments, most notably her religious reforms in the Merovingian kingdom. She recognized that the success of religious life was fundamental to the success of political life. Among her most significant reforms was the emancipation of monastic communities in several abbeys from the authority of bishops, placing them instead under the control of their abbots. She also supported churches and monasteries by granting them large areas of land.

Additionally, she ensured that churches housing the relics of saints were subject to the monasteries themselves rather than to bishops. She founded several new monasteries, including the Abbey of Chelles, which became her refuge during the last fifteen years of her life.

Balthild also undertook other important initiatives, such as the emancipation of slaves, combating simony (the sale of ecclesiastical offices), and striving to unify the Frankish kingdoms by marrying one of her sons to the daughter of the king of Austrasia. Moreover, she played a prominent social role through her charitable acts and donations to the poor.

Keywords: Merovingian Queens – Balthild – Frankish Religious Reforms – Clovis II – Combating Simony.

مقدمة:

اختلفت مكانة المرأة في جميع العصور السابقة، ولذلك فإن الدراسات المتعلقة بالمرأة تتمتع بطبيعة خاصة. فقد شاركت في العديد من الأحداث السياسية والعلمية والدينية. وعلى الرغم من معاناة المرأة أحيانًا بسبب الصعوبات التي يفرضها عليها المجتمع، أو تلك الناجمة عن طبيعتها بوصفها زوجةً وأمًا، فإن العديد من النساء استطعن أن يلعبن دورًا بارزًا في مجتمعاتهن، وفرضن حضورهن حتى أجبرن التاريخ على تدوين أسمائهن .

وقد شهدت أوروبا في العصور الوسطى نماذج عديدة لنساء كان لهن دور واضح، وقد أبرز العديد من الباحثين أثرهن في مختلف المجالات[١] .

يلقي هذا البحث الضوء على الملكة الميروفنجية[٢] بالتيلد، ذات الأصل الأنجلو-ساكسوني[٣]، التي وصلت إلى مملكة الفرنجة[٤] كجارية. إن سرد أحداث شخصية تاريخية

---

[١] هناك العديد من الدارسات التي تحدثت عن المرأة الاوروبية في العصور الوسطي علي سبيل المثال وليس الحصر:
- سونيا عبد الوهاب عبد ربه غازي، القديسة راديجوند Radegund: ودورها الديني في بواتييه قراءة في سيرة القديسات خلال العصر الميروفنجي (٥٢٠-٥٨٧م) ، مجلة المؤرخ المصري المجلد ٦٢، العدد ١، يناير ٢٠٢٣، ص.ص ١٠٧-١٥٤.
- انجي محمد محمد حلمي، أعمال القديسة هيلدجارد (١٠٩٨- ١١٧٩) وظهورها علي الساحة السياسية والدينية من خلال خطاباتها؛ مجلة وادي النيل للدراسات والبحوث الإنسانية والإجتماعية والتربوية- المجلد١١، (إبريل٢٠٢٠)،ص ص١٥٣-١٨٦ .
- هناء محمود شمس، المرأة الميروفنجية ين الانتقام والمؤامرات والاغتيالات السياسية (٤٦٦-٧٤١م)، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط - المجلد ١١ (ديسمبر - ٢٠٢٣) ص ص، ٣٧٣-٤٦٨.

[٢] الميروفنجيين هم الأسرة التي حكمت الفرنجة من نحو منتصف الخامس حتي عام ٧٥١م، وأول ملك منهم هو كلوديو الذي هاجم مدينة كلوني عام ٤٣١م ثم خلف كلوديو على العرش ملك آخر هو مروفك Merovech الذي سميت باسمه الأسرة الميروفنجية ثم أنجب مروفك ابنه كلوفيس الأول Clovis I الذي حكم من عام ٤٨٢ م حتى عام ٥١١م ويعتبر كلوفيس أقوي شخصيات عصره والمؤسس الحقيقي للفرنجه، وحكم الميروفنجيين الفرنجة حتى عام ٧٥١م.
أنظر: محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، القاهرة، ١٩٨٦، ص ٨٩، انظر أيضا: محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٩٥، ص١٥٣.

[٣] الانجلوساكسون هم الشعوب الجرمانية التي غزت بريطانيا حوالي عام ٤٤٩ م، وهم القوط والإنجليز والساكسون مؤسسين الممالك الإنجلوساكسونية السبع، وهم نورثمبريا Northumbria، وومكس Wessex ومرسيا Mercie، وكنت Kent، وأنجليا الشرقية East Anglia، ووإسكسEssex ، وساكسSaxons :
Bouillet, M., Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, Paris,1878, P.81. .
المزيد من التفاصيل عن تكوين الممالك الإنجلو ساكسونية أنظر محمد محمد مرسي الشيخ الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطي القاهرة ١٩٧٥) ص ٢١٧-٢٢٢.

[٤] الفرنجة هم أحد العناصر الجرمانية التي انقضت علي الإمبراطورية الرومانية، في منتصف القرن الثالث الميلادي ثم هزمتهم الجيوش الرومانية في مدينة ماينز Mains، ثم بعد ذلك بنحو مائة وخمسين عاما استقروا في منحدرات الراين الغربية ونجحوا في مد نفوذهم علي وادي الراين من مدينة اكس ال شابل Chapelle La Aix حتي مدينة متز Metz أنظر: محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا ، ص٨٧، انظر أيضا نورمان ف كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم ، القاهرة ١٩٩٧، ص ١٧٥؛

ليس بكافٍ للقارئ المعاصر؛ إذ يتطلع القارئ إلى مزيد من التفاصيل، وتحليل السياق، وتأمل الشخصية التاريخية من مختلف الزوايا، وهو ما يُبرز دور الباحث في تقديم رؤيته الخاصة، وما توصل إليه من خلال التحليل والنقد. من هذا المنطلق، لا يقتصر هذا البحث على تتبع المسيرة المعلنة للملكة بالتيلد فحسب، بل يسعى إلى كشف خبايا شخصيتها وملابسات عصرها، والبحث في الثغرات التي سكتت عنها المصادر .وفي حديثي عن الملكة بالتيلد، التي وصلت إلى مملكة الفرنجة كعبدة، ومن ثم اشتراها إرشينوالد Erchinoald [٥]، عمدة القصر [٦] الميروفنجي، ثم بعد ذلك تزوجت من الملك كلوفيس الثاني ClovisII ٦٣٩-٦٥٧م [٧] وبهذا أصبحت ملكة، وبعد ذلك وصية على العرش؛ واجهت الباحثة العديد من الأحداث غير المفسرة، والتي تجاهلتها المصادر، وقد حاولتُ الباحثة في هذا البحث سدّ الفجوات عبر

إدوار بروي، تاريخ الحضارات العام القرون الوسطي ، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر ، بيروت، ١٩٨٦، ص ٢٧.

[٥] إرشينوالد شغل منصب عمدة قصر نيوستريا، منذ عام ٦٤١- ٦٥٨م، كان شخصية قوية ذات تأثير مباشر في السياسة النيوسترية، عمل كعمدة قصر في فترة حكم ناتشيلد Nantechildوالدة الملك كلوفيس الثاني والوصية عليه كما عمل كعمدة قصر في فترة حكم كلوفيس الثاني ثم فترة حكم بالتيلد حينما كانت وصية علي كلوتير الثالث ، كشأن كثير من رجال الدولة آنذاك، كانت له علاقة قوية بالكنيسة، وساهم في دعم بعض المؤسسات الدينية بتوجيه من بالتيلد وكلوفيس الثاني.

Cp. Fouracre, P., The *New Cambridge Medieval History. Volume 1: c.500–c.700*, Cambridge, 2005, P.385.

[٦] عمدة القصر maior domus وتعني رئيس القصر كان يقدم المشورة للملك، ويدير القصر وبالتالي البلاط، ويشرف على تنفيذ قرارات الملك، أو يشكلها، وربما كان يتحكم إلى حد ما الملك وكان عمدة القصر يأتي في المرتبة الثانية بعد الملك في السلطة، وأحياناً كان أكثر قوة في الممارسة العملية. وفي أوائل القرن السابع أصبح المنصب يمثل مصالح النبلاء العلمانيين والدينيين، وكان العمدة يُنتخب من بينهم. ومنذ عهد كلوتير الثاني أصبح المنصب وراثياً بحكم الأمر الواقع، وتنافست العائلات النبيلة مع بعضها البعض للاستفادة من الروابط بشخص العمدة وكذلك بالملك والملكة:

Cp. Moreira,I., Bathild of Francia Anglo Saxon Slave, Merovingian Queen, and Abolitionist Saint, Oxford, 2024. P.32.

[٧] كلوفيس الثاني ٦٣٩-٦٥٧م ابن داجوبير الأول Dagobert I تولّى الحكم بعد وفاة والده عام ٦٣٩م، وكان في سن صغيرة، لذا حكم في البداية تحت وصاية والدته نانثيلد Nanthild ثم حكم منفردا مع عمدة قصره إرشينوالد وفي السنوات الأخيرة من حياته أصيب بالجنون ومات وحكم ثمانية عشر عامًا:

Cp. Chronicon Fredegarii Scholastici Continuatum, ed, Martin Bouquet, Tome, II, In Recueil des historiens des Gaules et de la France, Paris, 1869, p.449.

تحليل السياقات المحيطة بالأحداث ومحاولة تأويلها، مثل كيفية أسرها وبيعها للفرنجة، وكيفية زواجها بكلوفيس الثاني .

تحدثت الباحثة أيضاً عن أعمال بالتيلد بعدما أصبحت وصية على العرش بعد وفاة الملك. فقد أولت اهتمامًا كبيرًا بالإصلاحات الدينية، فحررت الجماعات الرهبانية في بعض الأديرة من سيطرة الأسقف، وكذلك خلصت الأديرة التي تحتوي على رفات القديسين من تلك السيطرة. كما حاربت السيمونية، والتي تعني شراء المناصب الدينية ، كما أسست العديد من الأديرة الجديدة. إلى جانب ذلك، كان لها دور مجتمعي بارز، إذ أنفقت الكثير من الصدقات على الفقراء، وسعت إلى منع أو تقنين تجارة العبيد. أما عن دورها السياسي، فقد سعت إلى لمّ شمل مملكة أوسترازيا من خلال تزويج ابنها من ابنة ملك أوسترازيا .

ثم انتقلت الباحثة للحديث عن التحول الذي طرأ في حياة بالتيلد، حيث انقلب عليها النبلاء، وأجبروها على الاعتزال بداخل دير شيلChells، فعاشت به حياة بسيطة ومتواضعة حتى وفاتها داخل الدير.

وقد استعانت الباحثة بالعديد من المصادر اللاتينية اهمها مصدر حياة بالتيلد[٨]، ويعد هذا المصدر من أكثر وأهم المصادر التي تحدثت بشكل مفصل عن حياة بالتيلد والذي قامت إحدى راهبات دير شيل بكتابة هذا المؤلف بعد سنوات من رحيل بالتيلد[٩]، ومع ذلك فإن هذا المصدر لم يتعرض لكيفية زواج بالتيلد من كلوفيس الثاني، كما أفادت الباحثة من مصادر اخري لاتينية، ولكن تلك المصادر تحدثت عن بالتيلد في إشارات بسيطة غير مفصلة [١٠]. كما توصلت وأفادت الباحثة من العديد من المراجع الأجنبية مثل دراسة إيزابيلا موريرا Isabel Moreira عن بالتيلد تحت عنوان ب" بالتيلد الفرنجية العبدة الإنجلوسكسونية والملكة الميروفنجية والقديسة المناهضة للعبودية" ولكن هذه الدراسة – في كثير من المواضع– تناولت الموضوع بسرد قصصي غير تاريخي، فلم تحلل المؤلفة بعض الأحداث تحليلا تاريخيا ولم تبد رأيها، كما أفادت الباحثة من العديد من المراجع الأخري التي تحتوي على إشارات متفرقة عن بالتيلد، وبرغم أن هذه المراجع أتت بمعلومات بسيطة، تكاد تكون مجرد سطور، إلا أنها أضافت للباحثة معلومات متناثرة عن الناحية السياسية حول بالتيلد أو عن حياتها[١١].

---

(8) Krusch, B., Vita Sanctae Balthildis, In Monumenta Germaniae Historica, Scriptorum rerum Merovingicarum T, II, Hnnoverae, 1888.

(9) M cNamara, A, and Halborg, J., and Whatly, G.,y. Sainted Women of the Dark Ages, London, 1992, P.265.

(10) Liber Historiae Francorum, In Monumenta Germaniae Historica, edited by Krusch T, II, Hnnoverae, 1888, P. 315.

(11) Morira, M., Balthild of Francia; Wemple, S., Woman in Frankish Society, Marriage and the Cloister, 500 to 900, Philadelphia, 1981; Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE Royale De Notre-Dame De Chelles, Paris, 1889; Fouracre,P and

وتكاد تخلو المكتبة العربية من وجود دراسات، أو بحوث، تناولت الحديث عن بالتيلد كشخصية تاريخية قائمة بذاتها، ولم تتوصل الباحثة، إلى دراسة مفصلة واسعة باللغة العربية عن الملكة بالتيلد، وربما يكون هذا البحث هو العمل الأول باللغة العربية الذي يسلط الضوء على الملكة الميروفنجية بالتيلد وأعمالها في مملكة الفرنجة مع توضيح المفارقة الخطيرة التي مرت بها من كونها عبدة إلى ملكة، ثم تحولها القسري إلى راهبة في دير شيل. وقد استلزم دراسة هذا الموضوع الكثير من الجهد والوقت لدقة الموضوع، وتناثر المعلومات على شكل شذرات هنا وهناك في العديد من الكتب، وتعدد اللغات التي كتبت بها هذه المعلومات.

إشكالية الدراسة:

تحاول الباحثة تسليط الضوء على الملكة بالتيلد مع عرض كيفية تحولها من عبدة إلى ملكة ميروفنجية، ورصد أعمالها التي قامت بها أثناء حياة زوجها أو بعد وفاته مثل الإصلاحات الدينية، وتأسيس الاديرة وتحريم بيع المناصب الدينية (السيمونية)، والحد من بيع العبيد خارج مملكة الفرنجة وفداء العبيد عن طريق الشراء، ولم شمل مملكة الفرنجة ، ثم تعرض الباحثة التحول الذي حدث لبالتيلد من ملكة إلى راهبة بأحد الاديرة والتنحي عن الحياة السياسية، كما تحاول الباحثة الإجابة على عدة تساؤلات؛ هي: هل كان لبالتيلد دور فعال في السياسة الفرنجية؟ أم أن دورها اقتصر على مساندة زوجها في قرارته، ولم يكن لها دور مهم يذكر في التأثير على مجريات الأحداث السياسية؟ هل كان لها دور مجتمعي؟ هل كانت بالتيلد حاقدة على الفرنجة باعتبارها أتت إلى مملكة الفرنجة كعبدة، أم أنها اعتبرت تحولها إلى ملكة وإنجابها لملوك كافي لتعويضها عن مرارة العبودية؟ هل اقترفت ذنبا جللا جعلها تتقبل فكرة الاعتزال بداخل دير شيل؟

ميلاد بالتيلد ووصولها إلى مملكة الفرنجة:

وُلدت باتيلدا عام ٦٣٠ م، وهي ساكسونية [١٢]، ووصلت إلى نيوستريا Neustria [١٣] الميروفنجية في شمال فرنسا كعبدة [١٤]. وكان الاتجار بالعبيد ممارسة معترفًا بها في أوروبا القرن السابع [١٥]، فقد كان

Gerberding, R., Late Merovingian France: History and Hagiography, 640-720, Manchester, 1996.

[١٢] السكسون هم أحد الشعوب الجرمانية التي سيطرت على بريطانيا في القرن الخامس الميلادي، وكان الإنجليز والقوط من ضمن الشعوب الجرمانية التي غزت بريطانيا في الوقت نفسه. وامتزجت هذه المجموعات وكونت المملكة الأنجلو -سكسونية السبع التي استمرت حتى الغزو النور مندي عام ١٠٦٦م. انظر: س ابن السكن، الموسوعة العربية العالمية، الرياض،١٩٩٩، ص.٣٦٦.
وللاطلاع على موقع السكسون انظر الخريطة في نهاية البحث بالملحقات.

[١٣] انقسمت مملكة الفرنجة الى ثلاث ممالك صغرى هي أوسترازيا في وادي الميز والراين الأدنى، ونستريا في الجزء الغربي بما فيه نورمنديا واكوتين، وأخيرًا برجنديا في المنطقة بين الرون وجبال الألب.
انظر سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، بيروت، ١٩٧٦، ص.١٤٧، عن موقع ممالك الفرنجة الثلاث انظر الخريطة في آخر البحث.

رجال الدين المسيحيين في حاجة إلى العبيد، ويمتلكون الكثير من العبيد لخدمتهم، كما عمل العبيد أيضًا كعمال في أراضي الكنيسة. وكان من الممكن للشخص الحر أن يتحول إلى عبد؛ فعلى سبيل المثال، كان من الممكن أن تتخذ الأسرة قرارًا ببيع أحد أفرادها من أجل الحماية أو سداد الديون، وذلك محاولة محسوبة لتحسين وضعهم الاجتماعي أو للبقاء على قيد الحياة. وفي بعض الظروف، كان من الممكن عكس وضع العبد، حيث يتم تحرير العبيد عند وفاة مالكهم، وكان يتم الاعتراف بتغيير الوضع في طقوس عامة مدعمة بوثائق مسجلة [١٦]. أما عن أصل بالتيلد ما إذا كانت عبدة أم من نبلاء الساكسون، فيذكر كاتب سيرتها أنها كانت من أصل متدنٍ، لأن إرشينوالد اشتراها بثمن زهيد[١٧]، اما الكاتبة إيزابيلا موريرا تذكر أن بالتيلد كانت من أصول نبيلة، حيث اتضح بعد تحليل العظام والأسنان الذي تم تطبيقه على رفات بالتيلد في العصور الحديثة، والذي أسفر عن وجود كمية كبيرة من الكالسيوم داخل عظامها، مما يؤكد أنها كانت من الأسر النبيلة ويدل علي ذلك تغذيتها بصورة جيدة في السنوات الأولي من حياتها، فكان البروتين موجود في نظامها الغذائي مما أدي إلى تراكم الكالسيوم بداخل عظامها وأسنانها [١٨].

وتري الباحثة أن الجدل حول أصل بالتيلد – هل كانت جارية أم من أصول نبيلة – أحد الأمثلة البارزة على تعقيدات كتابة التاريخ في العصور الوسطى، خاصة عند تقاطع الروايات التاريخية مع نتائج البحث الأثري والعلمي الحديث. فبينما يصر كاتب سيرتها على أنها كانت ذات "أصل متدنٍ" وبيعت بثمنٍ زهيد لإرشينوالد –وهي رواية قد تهدف إلى إبراز بعدها التواضعي والزاهد بما يتماشى مع النموذج المثالي للقديسة– فإن ما توصلت إليه الباحثة إيزابيلا موريرا من خلال تحليل العظام والأسنان، يكشف عن رواية مختلفة تمامًا تستند إلى معايير علمية، حيث إن وجود نسبة مرتفعة من الكالسيوم وآثار بروتين حيواني في تكوين عظام ورفات بالتيلد يؤكد على أنها تلقت تغذية متكاملة وغنية في طفولتها، وهو مؤشر يُعد حاسمًا في التمييز الطبقي في ذلك العصر، إذ إن مثل هذا النظام الغذائي كان محصورًا في الأوساط النبيلة فقط. وهذا يُعطي بعدًا جديدًا لفهم أصول بالتيلد، ويُعزز الرأي القائل بأنها كانت من نبلاء الساكسون الذين ربما وقعوا في الأسر وبالتالي تتفق الباحثة مع إيزابيلا موريرا لأن رأيها حاسماً لأنه مبني على إجراء علمي دقيق.

---

(14) Krusch, B., Vita Sanctae Balthildis , p. 475; Moreira, I., Bathild of Francia Anglo Saxon Slave, Merovingian Queen, and Abolitionist Saint, Oxford, 2024, P.1; Fouracre,P and Gerberding , R., Late Merovingian France :History and Hagiography, 640-720, Manchester, 1996, P.97; Depreux Ph., Princes, princesses et nobles étrangers à la cour des rois mérovingiens et carolingiens : alliés, hôtes ou otages ?. In: Actes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, 30e congrès, Göttingen, 1999. L'étranger au Moyen Âge. P. 148.

(١٥) ستعرض الباحثة لاحقاً جهود بالتيلد في الحد من ظاهرة الإتجار بالعبيد.

(16) Moreira, I, Balthid of Francia., P.41.

(17) Vita Sanctae Balthildis, P. 475.

(18) Moreira, I, Balthid of Francia, p.11.

حين وصلت باتيلدا إلى شمال فرنسا، اشتراها إرشينوالدErchinoald، عمدة قصر نيوستريا، وألحقها بخدم عائلته [١٩]. كانت باتيلدا فتاة رقيقة وتقية، فتقبلت وضعها الجديد سريعًا، وتعاملت مع الجميع بأسلوب مهذب. كان مظهرها الخارجي أنيقًا ومرتبًا، لكنها في البداية لم تكن تتقن لغة الفرنجة، مما جعل حديثها نادرًا ومقتضبًا . تحلت باتيلدا بالأخلاق العالية، وكانت رصينة متحفظة في أقوالها، حكيمة في تصرفاتها. ولحسن أدبها وخلقها، اختارها إرشينوالد خادمة شخصية له [٢٠]، لتعتني بطاولته، وتقدم له الطعام والماء، وتقف بالقرب منه أثناء تناوله للطعام، وقد أدت باتيلدا واجبها بإخلاص وأمانة [٢١] .

لاحظ إرشينوالد تقواها ورصانتها وحكمتها، فبعد وفاة زوجته أعلن نيته الزواج من باتيلد. غير أن هذا القرار صدم بالتيلد، إذ لم تكن راغبة في الزواج منه، لكنها كانت تخشى رفض طلبه صراحة. فاختبأت في أحد أركان القصر، حتى بلغها أن إرشينوالد قد اختار امرأة أخرى للزواج منها، فخرجت من مخبئها مطمئنة[٢٢].

حزن إرشينوالد من تصرف بالتيلد باختبائها ورفضها الزواج به، لكنه سامحها مكافأةً لها على حسن أخلاقها ومعاملتها الطيبة له، ولأسرته طوال فترة خدمتها. وبعد ذلك تمكنت باتيلدا من أن تحتل مكانة رفيعة في بلاط ملك الفرنجة كلوفيس الثاني، وبفضل أخلاقها الرفيعة وجمالها، عرض عليها كلوفيس الثاني الزواج، وقبلت بالتيلد الزواج من الملك[٢٣].

وهكذا نرى أن حياة بالتيلد كانت تتغير جذريًا من مرحلة إلى أخرى: فقد انتقلت من كونها حرة أنجلوساكسونية، إلى عبدة في مملكة الفرنجة، ثم إلى زوجة لملك الفرنجة .أما عن الظروف والملابسات التي أدت إلى زواج بالتيلد من كلوفيس الثاني، فقد أغفلت المصادر اللاتينية ذكر تفاصيلها. ومع ذلك،

---

(19) Fredegarii, Fredegarii Et Aliorum Chronica Vitae Sanctorum, In, edited by Krusch , In Monumenta Germaniae Historica, T, II, Hnnoverae, 1888, P.168; Cristiani, M., La sainteté féminine du haut Moyen Âge Biographie et valeurs

In Publications de l'École Française de Rome, Paris, 1991, p.419.

(20) Binet, E., La Vie Excellente De Sainte Balthilde Royne De France Fondatrice and Religieuse De Chelles, Paris, 1824, P.12.

(21) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, P. 18.

(22) Jong., M., Queens and beauty in the early medieval West: Balthild, Theodelinda, Judith', in C. La Rocca (ed.), Agire da donna. Modelli e pratiche di rappresentazione (secoli vi-x). Collection Haut Moyen Âge 3 (Turnhout, 2007), p. 238; Cristiani, M., La sainteté feminine, P.420.; Orlinski, Sh., Hagiography, Rhetorical Silence and the Slave Between the Lines: The Case of St. Balthild, in Trinty College Dublin, Conference paper, 2019, P.6.)

(23) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE Royale De Notre-Dame, p.17; Cristiani, M., La sainteté féminine du haut Moyen Âge, p.420.

ترى الباحثة أن من الممكن أن يكون إرشينوالد قد تحدّث عن بالتيلد أمام كلوفيس الثاني، وأثنى عليها، مما جعلها تحظى بالقبول لدى ملك الفرنجة، أو إصطحبها إرشينوالد ذات يوم إلي البلاط الملكي ومن ثم شاهدها كلوفيس الثاني وأعجب بها .

كما أغفلت المصادر اللاتينية ذكر رأي والدة كلوفيس الثاني في هذه الزيجة، على اعتبار كونها عبدة قد يثير الجدل. إلا أن نانثيلد Nanthild [٢٤]، والدة كلوفيس الثاني (٦٣٩–٦٥٧م) وزوجة الملك داجوبير الأولDagobert I (٦٢٣–٦٣٩م) [٢٥]، كانت هي الأخرى عبدة من أصول أنجلوساكسونية[٢٦] قد يفسر قبول والدة كلوفيس بهذا الأمر، ومع ذلك افتقار المصادر بالحديث عن تفاصيل الزيجة هو أمر مريب. إن تجاهل المصادر اللاتينية عن رأي والدة كلوفيس الثاني في زواجه من بالتيلد قد يعكس حساسية اجتماعية أو سياسية في ذلك الوقت تجاه أصول بالتيلد، أو ربما رغبة المؤرخين في التركيز على دورها كملكة ووصية، متجاوزين أصولها. أما بخصوص أن نانثيلد نفسها، التي كانت زوجة داجوبير الأول ووالدة كلوفيس الثاني، كانت أيضًا عبدة من أصول أنجلوساكسونية، يشير إلى أن العبودية لم تكن حاجزًا مطلقًا أمام الصعود إلى مراكز النفوذ في الأسرة المالكة الميروفنجية. وهذا يعكس بعض المرونة الاجتماعية في تلك الفترة، حيث كان الدم النبيل والمكانة السياسية أكثر تأثيرًا من الأصل الاجتماعي السابق.

زواج بالتيلد من كلوفيس الثاني عام ٦٥٠م:

[٢٤] نانتشيلد او نانثيلد Nanthild هي إحدي زوجات داجوبير وام كلوفيس الثاني وصلت الي مملكة الفرنجة كعبدة وهي من اصول انجلوساكسونية ثم تزوجت من داجوبير، الاول وعندما توفي داجوبير الأول في عام ٦٣٨ م ، أصبحت ناثيلد وصية علي ابنها سيجيبر الثالث الذي خلف والده علي العرش الاوستاريزي، وكان يبلغ من العمر ثماني سنوات، وساعد نانثيلد في الحكم في أوستراسيا عمدة القصر إيجا Ega:

Cp. Fouracre, P., The New Cambridge Medival History 500 700, Cambridge,2005, P.284-285; Harrison, D., The Age of Abbesses and Queens Gender and Political Culture in Early Medieval Europe, England, 1998, P.231.

[٢٥] حكم داجوبير الأول الفرنجة من عام ٦٢٨-٦٣٨م، وفي عهده انتصر على الوندال، كما خلص بافاريا Bavaria من البلغار وانتصر على الآفارِ Avar، وكان له نفوذ على السلاف Slavic Lands وأسبانيا القوطية Visigothic وساكسونيا Saxony، وفضلاً عن ذلك فقد حافظ علي خط إتصال نشط مع الإمبراطور البيزنطي، كما حافظ على الكنائس والاديرة وقدم الكثير من الأوقاف للمؤسسات الدينية، وبرغم أن فترة حكمه لم تكن طويلة إلا أنه كان ناجحاً.

Cp. Duruy, V., The History of The Middle Ages, translated by Whitny, M., New York, 1891, P. 60.; Fox, Y., The Merovingians in Historiographical Tradition from the Sixth to The Sixteenth Centuries, New York, 2023, P. 1172.

(26) Moreira, I.,op, cit., P.55; Wemple, S., Woman in Frankish Society: Marriage and Cloister 500-900, Philadelphia, 1981, P.57.

تزوجت بالتيلد الملك الميروفنجي كلوفيس الثاني عام ٦٥٠م[٢٧]، وكان كلوفيس الثاني حينها يتراوح عمره بين الخامسة عشرة والسابعة عشرة. وبحلول وقت زواجه، كان قد حكم نيوستريا اسميًا لمدة تقارب أحد عشر عامًا، بمساعدة والدته نانثيلد التي تولت الوصاية على العرش حتى وفاتها عام ٦٤٢م.

وبعد وفاة والدته، تولى كلوفيس الثاني الحكم منفردًا، وكان عمدة القصر إرشينوالد يعمل جنبًا إلى جنب مع نانثيلد، ثم مع كلوفيس الثاني نفسه، مساندًا له في إدارة شؤون المملكة. وقد تحلت نانثيلد، والدة كلوفيس الثاني، بقدر عالٍ من الحكمة والمهارة، واستطاعت أن تحكم بوفاق تام مع عمدة قصرها [٢٨].

كان أهم دور لباتيلد بعد زواجها يتمثل في إنجاب أبناء أصحاء، وقد نجحت في ذلك؛ إذ كانت تدرك أن جزءًا كبيرًا من قدرتها على أن تصبح شخصية قوية ومؤثرة في البلاط الملكي يعتمد على نجاحها في الإنجاب [٢٩]. وأنجبت باتيلدا ثلاثة أبناء: كلوتير الثالث (Clotaire III) عام ٦٥٠م، وشيلديريك الثاني (Childeric II) عام ٦٥٣م، وتييري الثالث (ThierryIII)أو ثيودوريك (Theodoric)عام ٦٥٤م.وهكذا تمكنت خلال فترة قصيرة لا تتجاوز خمس سنوات من إنجاب ثلاثة أبناء أصحاء، مما عزز مكانتها داخل الأسرة المالكة[٣٠].

وقد أظهرت بالتيلد الطاعة والاحترام، وحكمت إلى جانب زوجها، وكانت تتسم بالتواضع والمحبة في تعاملها مع الجميع. وأحبّت رجال الدين واعتبرتهم بمثابة آباء لها، كما عاملت الرهبان كإخوة، وكانت توزّع الصدقات بسخاء على الفقراء، وتحثّ شباب أبناء النبلاء على متابعة الدراسات الدينية، وتُطعم المحتاجين، وتنفق بسخاء على الأديرة[٣١]. ومن بين أنشطتها العديدة، شاركت بالتيلد في تعليم الشباب الأرستقراطيين في البلاط، وهي سياسة تهدف إلى إنشاء شبكات من الأصدقاء يمكن الاعتماد عليهم لاحقًا لتنفيذ الخطط الملكية[٣٢].

---

(27) Liber Historiae Francorum, P,315; Fredegarii, CHRONICUM FREDEGARII SCHOLASTICI, In RECUEIL DES HISTORIENS DES GAULES ET DE LA FRANCE, T, II, Paris, 1869, P.449; Geary, P., Readings in medieval history, Canada, 2010, P.154.

(28) Houel, Ch., Annales Des Cauchois Depuis Les Temps Celtiques Jusqu'A 1830, Paris,1847, P. 480; La Porte, J., La reine Bathilde ou l'ascension sociale d'une esclave, In publication de la Ville de Maubeuge diffusion Jean Touzot, Maubeuge, 1990, P.147.

(29) Essarts, A., Sainte Bathild, In LE CORRESPONDANT RECUEIL PÉRIODIQUE. RELIGION, PHILOSOPHIE, POLITIQUE, SCIENCES, LITTÉRATURE, BEAUX-ARTS, T.42, Paris, 1853, p. 234.

(30) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, P. 19; Moreira, I, Bathild of Francia, P.53.

(31) Vita Sanctae Balthildis, P. 486; Essarts, A., Sainte Bathild, p.234.

(32) Fox, Y., Power and Religion in Merovingian Gaul Columbanian Monasticism and the Frankish Elites, United Kingdom, 2014, p.39.

وبحلول الوقت الذي تزوجت فيه بالتيلد من العائلة المالكة النيوسترية، كان أفرادها يقضون أوقاتهم غالبًا – وربما معظمها – في الضياع الملكية داخل أو خارج باريس، فكان هناك ضياع ملكية في شيل Chelles[٣٣]، وفي كليشيClichy[٣٤]، وفي باليزو Palaiseau [٣٥]، ورويلRueil [٣٦]، وكان البلاط الميروفنجي متنقلاً، بمعنى أنه كان ينعقد أينما كان الملك ومستشاروه يقيمون في اي واحدة من الضياع الملكية وكانت القصور الملكية تستوعب العدد الكبير من الموظفين اللازمين لإدارة القصر، وكانت المباني تضم مساحات عامة تستوعب الأعداد الكبيرة الموجودة في القصر الملكي، مثل الأساقفة الذين كانوا يقضون أوقاتاً طويلة في القصور الملكية، وكانوا قادرين على إدارة أعمالهم من هناك [٣٧]، كما ضم البلاط المبعوثين والسفراء، أما في الداخل فكان البلاط بوتقة انصهار النخبة الفرنجية، فالتف حول الملك العديد من المسؤولين والمستشارين الذين يتشاورون معه، وينفذون أوامره[٣٨]، وكان أقرب شخص إلى الملك في السلطة هو عمدة القصر، الذي كان يشرف على السلطتين التنفيذية والقضائية باسم الملك، وكان حول الملكة والملكة ضجيجٌ مستمرٌّ من الأشخاص الضروريين لحسن سير العمل الحكومي من كبار الموظفين وصغارهم، وموظفو الخزانة بمن فيهم جباة الضرائب، وحاشية الملك المكونة من الأصدقاء والمستشارين، والحراس الشخصيين وأفراد الجيش، والأساقفة ورجال الدين، والصبية الذين يُدرَّبون لخدمة الجيل القادم أولئك الأشخاص الذين اشرفت بالتيلد بنفسها على تربيتهم، وصادقتهم من أجل إعداد جيل مخلص قادم وقادر على خدمة مملكة الفرنجة [٣٩].

كان البلاط يعج أيضا بالخدم الذين اختلفت وظائفهم من حاملي الكؤوس أو الذين يقومون بأعمال النظافة، والطهاة اللذين عملوا بالمطبخ والمشرفين على تصنيع النبيذ. باختصار كان بلاط الميروفنجيين مكانًا مزدحمًا ومتنوعًا لابد أنه كان أيضًا مكانًا يمكن فيه سماع العديد من اللغات بسبب وجود الكثير من السفراء والمندوبين الآتيين إلى بلاط مملكة الفرنجة من أجل تقضية مصالح ملوكهم [٤٠].

---

[٣٣] شيل بلد فرنجية تابعة لإقليم سين ومارن Seine et Marne تقع على بعد ٢٨ كم جنوب غرب موMeaux، و٩ كم غرب لاجنيLagny بها دير شهير أسسته باتيلدا ، زوجة كلوفيس الثاني، حوالي عام ٦٧٠م، تم اغتيال تشيل بيريك الأول في عام ٥٨٤ في غابة بالقرب من شيل:

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel, P.402.

[٣٤] كليتشي تقع في مقاطعة نهر السين علي بعد ٦ كم شمال غرب باريس اليوم انظر:

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.430.

[٣٥] باليزو تقع ١٨ كم جنوب باريس في منطقة ايل دي فرانس Île de Franceانظر:

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.1412.

[٣٦] رويل تقع علي بعد ١٢كم غرب باريس، و ١٠ كم شمال شرق فرساي Versailles في مقاطعة أوت دو سين Hauts de Seine:

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.1648.

[37] Moreira, I, Bathild of Francia, PP. 42-44.

[38] Depreux, P., Princes, princesses et nobles étrangers à la cour des rois mérovingiens et carolingiens : alliés, hôtes ou otages , InActes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public ,Paris, 1999 , p. 133.

[39] Moreira, I, Bathild of Francia, P.49.

[40] Moreira, I, Bathild of Francia, P.51.

وكان على بالتيلد أن تقوم بالكثير من الأعمال الخيرية باعتبار أنها زوجة الملك من ناحية، ومن ناحية أخري بسبب حبها لمساعدة الجميع، وقد علم كلوفيس الثاني بحب زوجته للأنشطة وللأعمال الخيرية، ومحاولة منه في تعزيز سمعة زوجته؛ قام بتعيين الأب جينيس Genesius مشرفًا على أعمال بالتيلد الخيرية المدنية والدينية[٤١]، وتم توجيهه لخدمة الأساقفة والفقراء تحت توجيه وإشراف بالتيلد[٤٢]، وكان خادمًا جديرًا للملكة، ومنفذًا جديرًا لرغباتها، وكرس الرعاية لرجال الدين والفقراء والضعفاء [٤٣].

إن قيام كلوفيس الثاني بتعيين شخص لتنفيذ اعمال بالتيلد الخيرية يدل على أن كلوفيس الثاني كان يدعم بالتيلد، ويشير أيضًا إلى أنهما كانا على تقارب من بعضهما.

وقد يتساءل البعض كيف استطاعت بالتيلد القيام بكل تلك المهام من الإشراف على تعليم الجيل الصغير ومتابعتهم عن كثب، وتنفيذ العديد من الاعمال الخيرية والمجتمعية ومراعاة زوجها، كيف قامت بكل هذا وهي لغتها الأساسية لم تكن لغة مملكة الفرنجة، حيث كانت صغيرة عندما تم أسرها، وربما لم تكن متلقية قدر كاف من التعليم؟ وللإجابة على هذا التساؤل، تري الباحثة أنه من الممكن أن تكون بالتيلد قد نالت قدر كاف من التعليم في منزل إرشينوالد، وذلك لأنها أبلت بلاءً حسنا في دورها كزوجة ملك الفرنجة، فقد كانت تقدر العلم وتدعم جميع الشباب معنويا وتحثهم على تلقي العلم.

وفاة كلوفيس الثاني عام ٦٥٧م ثم وصاية بالتيلد على كلوتير الثالث:

عاش الملك والملكة في سلام، لكن هذه السعادة لم تدم طويلًا، فقد كان كلوفيس مفرط في العلاقات النسائية المحرمة فأصابه المرض، وكان مرض كلوفيس الثاني يأتيه في صورة نوبات عنيفة من ذهاب العقل، وحينما أدرك كلوفيس الثاني بشاعة وضعه المرضي، أخذ يدعو الله كثيرًا أن يشفيه وصار يغدق بالصدقات على الفقراء. وفي ظل هذه الظروف السيئة للملك تعاملت بالتيلد مع زوجها برقي وحنان وانتبهت له وراعته كأمه [٤٤]. ثم توفي الملك كلوفيس الثاني عام ٦٥٧م [٤٥]، وكان أبناء كلوفيس الثلاثة لا يزالون صغارًا جدًا، فخلف كلوفيس الثاني على عرش نيوستريا، وبورجندي ابنه كلوتير الثالث، الذي كان يبلغ من العمر حوالي خمس سنوات، لذلك أصبحت بالتيلد الوصية عليه[٤٦]، وكانت

(41) La Porte, J., La reine Bathilde, P. 150; Wemple, S., Woman in Frankish Society: Marriage and Cloister 500-900, Philadelphia, 1981, P.67.
(42) Schulenburg, J., Forgeteful Of Their Sex Female Sanctity and Society, Ca 500-1100, Chicago, 1998, P.69.
(43) Moreira, I, Bathild of Francia, P. 38.
(44) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, pp.19-20.
(45) Liber Historiae Francorum, p.316; Karkov' C., The Art of Anglo Saxon England, England, 2011, p.123; Wood, I.,The Merovingian Kingdoms, 450-751, Londom, 1994, p.198; M cNamara, A, and Halborg, J., and Whatly, G.,y. *Sainted WWomen,*P. 265.
(46) Baillet, A., LES VIES DES SAINTS, COMPOSÉES SUR CE QUI NOUS EST RESTÉ de plus autentique & de plus aſſuré dans leur Hiftoires Difpofées ſelon l'ordre des Calendriers & des Martyrologes, T.10, Paris, 1839, P.242.

محاطة بدائرة من الناس اللذين يساعدوها في الحكم مثل عمدة القصر إرشينوالد، والعديد من الأساقفة: مثل إيلوي Eloi أسقف نويون Noyon[٤٧]، وأوين Ouen[٤٨]، أسقف روانRouen [٤٩].

أعمال بالتيلد:

أ- إلغاء ضريبة الرأس:

لاحظت بالتيلد عادة مقيتة وهي ضريبة الرأس تلك الضريبة التي سحقت رب الأسرة؛ حيث كان لزاما عليه أن يدفع رسومًا مقابل كل طفل، وقد أصبحت هذه الضريبة الشخصية ثقيلة للغاية لدرجة أن العديد من الناس كان يسيطر عليه الخوف والحزن عند إنجاب طفل جديد وباعوا أطفالهم وحتى قتلوهم بدلا من الحنان على أولادهم وإطعامهم. وقد ألغت باتيلد مثل هذا الابتزاز المؤسف، وبالتالي أعادت إلى العائلة الفرنجية فرحتهم باستقبال مولود جديد [٥٠]. وهنا نجد ذكاء بالتيلد واضحا في الحفاظ على الكيان الأسري فهي قد حرمت من أسرتها حينما تم أسرها وإحضارها إلى مملكة الفرنجة وبالتالي يعد حفاظها على الأطفال إنما يخدم نفس الفكرة التي تسيطر عليها وهي الحفاظ على كيان الأسرة وكل ذلك من أجل

---

[٤٧] ولد إيليجيوس الذي يطلق عليه أيضاً إيلوي عام ٥٨٨م، في قرية تشابتيلات Chaptelat، والده يُدعى أوخاريوسُ Eucherius وأمه تيريجياTerrigia ، وعلماه والداه خوف الله منذ طفولته ، ترك إيلوي بلدته الصغيرة وانتقل إلي ليموجLimoges وعمل بها كصائغ قام إيلوي بالعمل مع أبون Abbon، وهو صانع ذهب ماهر ومسئول عن سك العملة في مدينة ليموج ، نفذ إيلوي كرسيان عرش ذهبي للملك كلوتير الثاني وأعجب كلوتير الثاني بجمال الكرسيان فقام بإعطاء مكافئة لإيلوي ثم عينه مستشارا له في البلاط الملكي وبعد وفاة كلوتير الثاني عام ٨٢٦م عمل إيلوي أيضاً في بلاط داجوبير إلي جانب عمله كصائغ وعمله في سك العملات الميروفنجية وقد تمتع إيلوي بمكانة متميزة في بلاط داجوبير لدرجة أن داجوبير كان يناقشه كثيرًا في مجلسه بخصوص الشؤون العامة، ويتلقى منه التوجيهات بشأن المملكة وبشأن حياته الخاصه، وكان صديقاً مقرباً له، وكان لإيلوي دور خيري وإجتماعي في مملكة الفرنجة وبعد وفاة داجوبير عام ٦٣٩م، تم تعيين إيلوي كأسقف لنيون Noyon وبعد وفاة كلوفيس الثاني ساعد الملكة بالتيلد في الوصاية علي العرش الميروفنجي راجع: انجي محمد محمد حلمي، الصائغ ايلوي (٥٨٨-٦٦٠م) وعمله في البلاط الميروفنجي، ثم أسقفاً علي نويون، مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد، مجلد ١٠، العدد ١٩، إبريل ٢٠٢٤، ص ١٣٧٠-١٣٩٩.

[٤٨] دادو Dado أو اودينوس Audoenus أو اوين Ouen ولد دادو في سواسون Soissons والدته هي السيدة آيجاAiga ، كانت سيدة تقية ووالده هو أوثاريسِ Autharis وكان له أخان هم أدو Ado، ورادوٌRado، وكان هؤلاء الإخوة الثلاثة لهم دورا كبيرًا في بلاط الملكين كلوثير وداجوبير، ثم تخلى أدو ودادو عن حياتهما الدنيوية وأصبحا رهبانًا، بنى أدو دير جوار Jouarre ، بالقرب من نهر المارن Marne وقام دادو ببناء دير ريبيس Rebais، وقد إجتذب كلا من هذين الديرين الكثير من الأشخاص المتعبدين، وازدهرت راهبات جوار تحت حكم سلسلة طويلة من رئيسات الدير المتدينات الحكيمات، وأرسلن العديد من النساء النبيلات المدربات فيه لنشر نفوذه في جميع أنحاء بلاد الغال. وكان دير ريباس أعظم من جوار:
Concannon, T., The Life of St. Columban (St. Columbanus of Bobbio) A study of Ancient Irish Monastic Life, Ireland, 1915, p276.

[49] Houel, Ch., Annales Des Cauchois, P. 486; La Porte, J., La reine Bathilde, p. 151; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.

[50] Vita Sanctae Balthildis, P. 488; La Porte, J., La reine Bathilde, P. 154; Fouracre,P and Gerberding, R., Late Merovingian France, P.111; Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p. 22.

العمل على تنمية المجتمع الميروفنجي وبالتالي فهي كانت محبة للمجتمع الفرنجي الذي ذهبت إليه أسيرة ولم تكن حاقدة عليه.

ب- محاولة تحرير العبيد وتحريم بيع العبيد المسيحيين خارج حدود المملكة:

ومن ضمن الأعمال التي تحسب لبالتيلد انها كان لها دور في محاولة تحرير العبيد وتحريم بيع العبيد الفرنجة خارج حدود مملكة الفرنجة، فدفعت بالتيلد زوجها كلوفيس الثاني نحو تحرير العبيد وإتخذ إجراء نحو ذلك ففي عام ٦٥٠م، عقد كلوفيس الثاني وعمدة قصره إيجا مجلس شالون سور ساون-Chalon sur-Saône في كنيسة سانت فنسنت Saint Vincent لمناقشة واتخاذ أمور كثيرة تخص مملكة الفرنجة منها امور تخص العبيد، وقد حضر هذا المجلس عدد كبير كما تُظهر القائمة الطويلة للموقعين: ثمانية وثلاثون أسقفً ومندوبون آخرون من رتب أدنى. كان المجمع جادًا في عمله فقد عُوقب أسقف آرل Arles [٥١]، الذي لم يحضر، وأُقيل من منصبه، وخُفِّضَت رتبة أساقفة آخرين لم يحضروا. وقد تناول الأساقفة المجتمعون قائمة طويلة من المسائل المتعلقة بمنصب الأساقفة وواجباتهم، ومنع التصرف في أراضي الكنيسة، ومشكلة تعدي العلمانيين على أراضي الكنيسة وحظر التشابك أو استخدام العنف في حرم الكنيسة، كما تناول المجلس أيضًا قضايا تتعلق بالعبيد والأسرى وأعلن عن فكرتين أساسيتين. **الأولى** هي أن تحرير الأسرى المسيحيين عملاً تقيًا، حيث نص في المجلس على أنه من التقوى، والرحمة للمسيحيين أن يفتدوا النفوس من قيود الأسر. **والثانية** هي أنه لا ينبغي لأحد أن يبيع عبدًا ميروفنجي خارج حدود مملكة الفرنجة خشية أن تؤدي هذه التجارة إلى وضع المسيحيين في قيود الأسر أو- الأسوأ من ذلك- الوقوع تحت سيطرة اليهود [٥٢].

طبقت بالتيلد ما جاء في مجمع شالون سور سون بمنع بيع العبيد المسيحيين خارج حدود المملكة، وأصدرت أمرًا إلى مختلف أنحاء المملكة بأنه لا ينبغي لأحد في مملكة الفرنجة أن يقوم بإخراج عبد مسيحي من المملكة، وكان هذا القرار بمثابة ترجمة لما جاء في قرارات مجمع شالون سور سين [٥٣].

ومن السهل أن نفهم أن بالتيلد، التي لم تنس بلا شك ماضيها كعبدة، وكرست نفسها لتصحيح في مجتمعها الجوانب الأكثر إيلامًا في حياتها، فهي مرت بهذه التجربة الأسوأ على الإطلاق وهي أسرها ثم نقلها من بلدها إلى مملكة الفرنجة فبالتالي لم ترض أن يمر أحد من مملكة الفرنجة بهذه الظروف ويقع تحت قسوة الأسر ثم ذل العبودية.

---

[٥١] تقع ارل على نهر الرون، على بعد ٥٠ ميلاً شمال غرب مرسيليا. هذه المدينة كانت من أهم مدن الإمبراطورية الرومانية وكانت مدينة أسقفية، وفي هذه المدينة عقد العديد من المجالس والمجامع:
Canby, C.,and Lemberg, d., Encyclopedia of Historical Places, New York, 1984, p. 68.

[52] Moreira, I, Bathild of Francia, P.60.

[53] Essarts, A., Sainte Bathild, P.238; Moreira, I, Bathild of Francia, p.62; La Porte, J., La reine Bathilde, P. 154; Fouracre,P and Gerberding, R., Late Merovingian France, P.111; Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p. 22.

لم يكن كل هدف بالتيلد هو تحريم بيع العبيد الفرنجة خارج حدود المملكة فحسب بل ذهب هدفها إلى أبعد من ذلك وهو تحرير العبيد، ولكن تحرير العبيد لم يكن بالأمر السهل حيث إنه لا بد من تعويض المالك، وبالتالي فإن هذا النوع من الإنقاذ سيكون معقدًا ومكلفًا، فقد كان عمل العبيد جزءً لا يتجزأ من اقتصاد الميروفنجيين، وبما أن العبيد كانوا ملكًا للناس، سواء ملاك الأراضي، أو ملاك الكنائس، فبالتالي لم يكن من السهل تحرير العبيد دون قدر كبير من المتاعب وموافقة سيدهم أو سيدتهم، وعلى هذا الأساس قامت بالتيلد بفدية العديد من الأسرى وأطلقت سراحهم ليصيروا أحرارًا، وأرسلت آخرين منهم، وخاصة من هم من نفس عرقها السكسوني، رجالًا والعديد من الفتيات أيضًا، إلى الأديرة وأيًا كان العدد الذي استطاعت جذبه، فقد أوكلته إلى الأديرة المقدسة، وأمرتهم بالصلاة من أجلها، وعندما اجتمع أساقفة الفرنجة في مجلس شالون سور سون للنظر في تحرير العبيد ناقشوا أيضاً معدلات تعويض المالك، على سبيل المثال، العبيد المسيحيين الذين يتم شراؤهم من أسر يهودية يجب شراؤهم بسعر مناسب، بـ ١٢ صوليدي ولا ينبغي بيع العبيد المسيحيين للوثنيين أو اليهود، وأنه يجب على مالكي العبيد المسيحيين بيع عبيدهم المسيحيين لمسيحيين آخرين [٥٤].

ج- التبرعات والصدقات:

كان أهم مشروع لدي بالتيلد هو الصدقات، ففي أحد الأيام، جاء رجل متدين إلى القصر الملكي ليطلب صدقة، فقالت بالتيلد لأمين صندوقها: "**أعطِ مبلغًا جيدًا من المال لرجل الله هذا حتى يصلي من أجلنا**" أجاب أمين الصندوق: "**لا أستطيع**"، **يجب أن تعلمي يا أميرة أن خزائنك فارغة، حتى لو كانت لدينا جبال من الذهب ومعادن من الفضة، فلن نستطيع أن نلبي كرمك المفرط هذا**".

أجابت الملكة: **يا صديقي نحن أغنى مما تظن**، وفكت على الفور الحزام الذهبي الذي كانت ترتديه، واعطته للراهب وقالت له: "**هذه يا أبي الهدية التي أقدمها لديرك**" **صلوا من أجل الملك، ومن أجل أطفالي، ومن أجلي** [٥٥].

واللافت للنظر في هذه الواقعة أن تصرف بالتيلد ليس فقط نبيل، بل هناك رسالة أعمق تعكس فلسفتها في الحكم، ففي الزمن الذي كانت القوة فيه تُقاس بالسيوف والذهب، اختارت بالتيلد أن تبني سلطانها على الرحمة والتقوى. تصرّفها حين تبرعت بحزامها الذهبي، لا يعكس كرمًا ماديًا فحسب، بل إيمانًا داخليًا عميقًا بأن العطاء لا يُقاس بوفرة المال، بل بصدق النية، كما أن رفض أمين الصندوق كان لحظة محورية، أظهرت التباين بين من يُقَيِّمون الأمور بحسابات المال، ومن يرون في الإيمان قوة قادرة على تغيير الواقع، وتري الباحثة أن بالتيلد لم تكن فقط ملكة، بل كانت رمزًا لفكرة أن القادة الحقيقيين هم

(54) Moreira, I, Bathild of Francia, P.59; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.
(55) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.23.

أولئك الذين يضعون إنسانيتهم في صدارة القرار، حتى على حساب مظهرهم الشخصي أو سلطتهم السياسية.

ومن ضمن أعمال بالتيلد الخيرية الإنسانية هي دفن الموتى، فقد كان القانون قاسيا في إعدام المذنبيين وتركهم في ساحات تنفيذ العقوبات بلا رحمة؛ فطلبت بالتيد من إيلوي أن يقوم بعمل فحص شامل للساحات الخالية التي ينفذ بها حكم الإعدام ويقوم بدفن الموتى المنفذ فيهم حكم الإعدام، والمتروكين قتلى في الساحات [٥٦].

د- محاربة السيمونية:

من أبرز إنجازات الملكة بالتيلد أنها تصدت بحزم لظاهرة السيمونية، وهي شراء المناصب الكنسية، والتي كانت تُعد من أخطر الانحرافات الدينية في العصر الميروفنجي. فقد كانت المناصب الكنسية، في ذلك الوقت، مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالسلطة والنفوذ، مما جعلها عرضة للرشوة والمحسوبية. ولهذا، أصدرت الكنيسة قرارات صارمة تفضي إلى حظر حصول أي أسقف أو كاهن أو رئيس دير على رتبته الدينية من خلال تقديم الهدايا أو الأموال، وإلى التهديد بعزله من منصبه في حال ثبوت ذلك. وقد أدركت بالتيلد خطورة هذه الظاهرة، فدعمت المجامع الكنسية التي شجبت السيمونية واعتبرتها بدعة مدمرة لكيان الكنيسة، وكان من أبرز من نددوا بهذه الممارسة كل من الأسقفين دادو، وإيلوي اللذان أطلقا تحذيرات قوية خلال مجمع شالون سور ساون، وشبها السيمونية بـ"المرض القاتل في جسد المسيح". وقد لقيت هذه التحذيرات دعمًا علنيًا من بالتيلد، الأمر الذي عزز موقف الكنيسة في مقاومة هذه الممارسات الفاسد [٥٧]، ولذا، فإن الجهود التي بُذلت لمحاربة السيمونية كانت تسعى، في جوهرها، إلى إعادة التوازن بين سلطة الكنيسة وتدخل القصر الملكي، والحيلولة دون احتكار النخب لمناصب الأسقفية، لا سيما في أوقات الفراغ الأسقفي، حيث كانت هذه المناصب تُدار غالبًا وفق مصالح سياسية أكثر من كونها دينية [٥٨].

ما يلفت الانتباه في موقف بالتيلد من السيمونية هو وعيها العميق بخطورة ربط الدين بالسلطة السياسية، فقد كانت تدرك- رغم كونها ملكة وفاعلة في السياسة- أن فساد المؤسسة الدينية يعني تقويض القيم

(56) Moreira, I, Bathild of Francia, P.74.

(57) Barthelemy., M., Les Vies De Tous Les Saints De France Depuis Le Premier Siecle Du Christianisme Jusqu'A Nos Jours,T, 7, Versailles, 1866, p.518; Essarts, A., Sainte Bathild, P.238; La Porte, J., La reine Bathilde, PP. 154-155.

(58) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, P.22; Rosenwein, B., Negotiating space: power, restraint, and privileges of immunity in early medieval Europe, New York, 1999, P.82; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.

التي تستند إليها الدولة نفسها، خاصة في مجتمع كان يرى في الكنيسة عمادًا أخلاقيًا واجتماعيًا، وبالتالي دعمها لقرارات المجامع، وتبنّيها موقفًا حاسمًا ضد بيع المناصب الدينية، يعكس بُعدًا إصلاحيًا في شخصيتها؛ إذ لم تكتفِ بدورها كملكة متدينة، بل تدخلت في صلب المشكلات التي كانت تهدد الكنيسة .ويبدو أن بالتيلد لم تكن فقط تتبنى موقفًا دينيًا، بل كانت تمارس نوعًا من "التطهير المؤسسي"، في زمن أصبح فيه المنصب الكنسي وسيلة للنفوذ أكثر من كونه دعوة روحية. فلم تكن بالتيلد مجرد ملكة مؤمنة، بل فاعلة تاريخية تحاول الموازنة بين الإيمان والإصلاح داخل منظومة معقدة، وهو ما يجعلها واحدة من الشخصيات النسائية الأكثر وعيًا وتأثيرًا في تاريخ فرنسا الديني والسياسي على السواء.

هـ- تعامل بالتيلد مع قضية جريموالد Grimoald [٥٩]**، عمدة القصر الأوستاريزي ولم شمل الممالك الفرنجية:**

قُسِّمت الأراضي الفرنجية إلى ثلاث ممالك: نيوستريا، وأوستارزيا، وبورجندي[٦٠]، كانت نيوستريا وبورجوندي متحدتين أما بالنسبة لأوستارزيا فمنذ خلافة داجوبير الأول في عام ٦٣٩م، تم فصلها عن بقية الأراضي الفرنجية، وفي الوقت الذي اصبحت بالتيلد فيه وصية على العرش؛ كان الوضع السياسي الأوستاريزي غير مستقر تمامًا فقد قام عمدة القصر الأوستاريزي جريموالد بإثارة الفتن والإنقلاب، وكانت إحدى المهام والتحديات الصعبة التي تعرضت لها بالتيلد اثناء وصايتها هي التعامل مع جريموالد [٦١]، وكان العامل المحفز لهذه الأزمة هو وفاة صهر بالثيلد، سيجيبر الثالث Sigibert[٦٢]، في أوستارزيا في ١ فبراير ٦٥١م ، وقد فتحت وفاة سيجيبر الثالث فرصة لجريموالد، عمدة القصر الأوستاريزي، للإنقلاب فسابقاً كان جريموالد يسيطر جدًا على سيجبير الثالث وكان سيجبير الثالث يثق به وبقراراته، و

---

[٥٩] جريموالد هو إبن عمدة القصر الاوستاريزي، وبعد وفاة والده عام٦٤٠م طمع جريموالد ان يحصل علي منصب عمدة القصر في أوستارزيا، ولكن تم تعيين شخص آخر يدعي اوتو Auto وهو المعلم الخاص بالملك سيجيبير الثالث وكان سيجيبير الثالث هو الملك الفعلي علي أوستارزيا ، وكان جريموالد شخصية طموحة وجاءت فرصته حينما قام رادولف Radulf دوق ثورنيجيا Thurnigia بمحاربة سيجيبر الثالث فانضم جريموالد إلى الملك والنبلاء الآخرين في المعركة، وأظهر شجاعةً وإبداعًا أكسباه رضى الملك سيجيبر الثالث، و هُزم جيش سيجبر الثالث هزيمةً حاسمة على يد رادولف، ولكن جريموالد إستطاع ان ينقذ سيجيبير الثالث وصعد نجمه الملكي، انتهز جريموالد الفرصة للهجوم على أوتو، ورتب لاغتياله، ثم تولى منصب عمدة للقصر في أوسترازيا، وبصفته عمدة القصر، تمكن جريموالد من تجميع سلطة كبيرة وامتلك العديد من الأراضي سمحت له ثروته من الاراضي بإنشاء الأديرة، التي أصبحت مصادر للدعم السياسي واستمر في دعم هذه الأديرة بثروته الخاصة أو بثروات الملك بعد تأسيسها:

Frasetto, M., The Early Medieval World from the Fall of Rome to the Time of Charlemagne,London, 2013, P.294.

[60] Moreira, I, Bathild of Francia, P.82.

[61] La Porte, J., La reine Bathilde, P.156.

[٦٢] سيجبير الثالث(٦٣٢-٦٥١م) هو ملك الفرنجة في اوستارزيا وهو أخو كلوفيس الثاني وابن داجوبير حيث كان داجوبير متعدد الزيجات وأنجب ابناءا من نساء مختلفات. وسيجيبر الثالث هو الأخ غير الشقيق الأكبر لكلوفيس الثاني وكانت والدته تُدعى راجنيترود، وزوجة سيجبير تُدعى شيمنتشايلد، وأنجب ابنة تُدعى بيليتشايلد وابن.سمي داجوبير الثاني على اسم جده. توفي سيجيبرت الثالث عام ٦٥١م:

Cp. Moreira, I, Bathild of Francia, P.29.

كان سيجبير الثالث حريصًا جدًا على أن يكون له وريث ذكر، ولكنه لم يكن قد أنجب فاستغل جريموالد القلق الذي بداخل سيجبير الثالث من عدم وجود وريث، وأقنع سيجبير الثالث جريموالد بأن يتبني ابنه، شيلديبر Childebert وكان مخطط جريموالد أن يصبح ابنه شيلدبير وريثًا علي العرش للملك. وعندما أنجب سيجبير وريثًا ذكرًا، وهو داجوبير الثاني(٦٧٦-٦٧٩م) [٦٣]، باءت خطط جريموالد لخلافة ابنه شيلديبر بالفشل، حيث سيصبح داجوبير الثاني هو خليفة والده على العرش [٦٤].

وبعد وفاة سيجبير الثالث قام جريموالد بحلق شعر داجوبير الثاني وحبسه في دير، وقام بوضع ابنه شيلدبير على العرش. وفي عام ٦٦٢م، أُطيح بجريموالد وشيلديبر على يد النيوستريين بدعم من بالتيلد [٦٥]، فأُسقط بجريموالد أخيرًا في كمين نصبه له الفرنجة النيوستريون بقيادة بالتيلد. وسُلِّم إلى كلوفيس الثاني في باريس حيث سُجن. وبشكل نهائي تم حُلّ أزمة اوستاريزيا عندما تم تزويج ابن بالثيلد الثاني تشيلدريك الثاني (٦٦٢-٦٧٥م)، من بيليتشايلد Bilichild عام ٦٦٢م ابنة عمة سيجبير الثالث ملك اوستارزيا [٦٦]، وقد وقعت السنوات الأولى من حكم تشيلدريك وبيليتشايلد في أوستارزيا تحت وصاية والدته (أرملة سيجبير) شيمنتشايلد Chimnechild. وهكذا، ولفترة وجيزة حُكِمت كل من نيوستريا وأوسترازيا بواسطة ملكات وصيات لا بد أن المرأتين، بالثيلد وشيمنتشايلد، قد عملتا معًا لتأمين الزواج الذي جلب السلام لفترة إلى مملكة أوستارزيا[٦٧].

مما سبق يتضح أن بالتيلد لم تكن مجرد وصية على العرش هامشية، بل فاعلة سياسية قوية في حل الصراع على السلطة داخل الممالك الفرنجية. ففي الوقت الذي تميزت فيه أوستارزيا بعدم الإستقرار،

---

[٦٣] داجوبير الثاني(٦٧٦-٦٧٩م) هو إبن سيجبير الثالث، وبعد وفاة والده، قام جريموالد عمدة القصر الاوستاريزي والمسؤول الأقوى في عهد الملك، بحلق شعر داجوبير الثاني ووضعه تحت وصاية ديدوDido، أسقف بواتييه Poitiers. أدى قص شعر داجوبير إلى عدم أهليته للعرش لأن ملوك الميروفنجيين كانوا دائمًا شعرهم طويلاً، ثم أرسل ديدو داجوبير إلى أيرلندا قضى سنوات في المنفى، حيث يُعتقد أنه تلقى تعليمًا دينيًا في الأديرة الإيرلندية، ثم عاد إلى أوسترازيا لاحقًا بدعم من بعض النبلاء والكنيسة، وتولى الحكم من ٦٧٦الي ٦٧٩م ثم قُتل داجوبير الثاني في ظروف غامضة ٦٧٩م، يُرجّح أنها كانت نتيجة مؤامرة سياسية:

Cp. Fouracre,P and Gerberding, R., Late Merovingian France: History and Hagiography, 640-720, Manchester, 1996, pp, 80-81.

(64) Frasetto, M., The Early Medieval World P.294.

(65) Fredegarii Et Aliorum Chronica, p. 316; La Porte, J., La reine Bathilde, P.156; Moreira, I, Bathild of Francia, P.54; Littlewwod, I., The Rough Guide Chronicle France, London, 2002, P.30

(66) Wood, I.,The Merovingian Kingdoms, p.198.; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.

(67) Moreira, I, Bathild of Francia, p.54 Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.27.

برزت بالتيلد بوصفها طرفًا مركزيًا في الحفاظ على التوازن السياسي، وتصدي بالتيلد لمحاولة جريموالد الإنقلابية يجسّد دورها كمدافعة عن السلالة الميروفنجية، إذ لم يكن همّها حماية العرش فقط لأبنائها، بل أيضًا ضمان الاستقرار الداخلي داخل اوستارزيا. هذا الموقف يُعد تعبيرًا عن نضج سياسي ووعي عميق بمصالح الدولة والمجتمع، حيث لم تكتف بالدفاع بل أخذت خطوات هجومية أدت إلى إنهاء نفوذ جريموالد . كما يعد زواج تشيلدريك الثاني من بيليتشايلد مثالًا كلاسيكيًا على توظيف الزواج لتوحيد الصفوف. هذا الزواج كان بمثابة تسوية سياسية أعادت ضبط العلاقة بين نيوستريا وأوسترازيا على أسس سلمية، وإسهام بالتيلد في ترتيب هذا التحالف يكشف عن براعتها الدبلوماسية، إضافة إلى قوتها في إدارة الصراعات.

و – تأسيس بالتيلد للأديرة :

كانت بالتيلد نشطة للغاية في دعم الحياة الدينية في مملكة الفرنجة، إذ كانت تدرك أن السيطرة الدينية تُعَدُّ جزءًا لا يتجزأ من السيطرة السياسية وتوجيه الرأي العام. لذلك، قررت أن تُجري عملية إصلاح شامل للحياة الدينية داخل مملكتها. وقد اتخذت إجراءات الإصلاح الديني لديها مسارين رئيسيين، الشق الأول تمثّل في إصلاح النظام الرهباني والأديرة القائمة، أما الشق الثاني فكان يتمثل في تأسيس أديرة جديدة، بهدف تعزيز النفوذ الديني وتنظيم الحياة الروحية.

أما بخصوص الشق الأول، فقد حرّرت بالتيلد الجماعات الرهبانية داخل بعض الأديرة من سيطرة الأساقفة، وجعلتها خاضعة مباشرة لرؤساء هذه الأديرة، وليس لسلطة الأسقف. وقد طبّقت نفس السياسة على الأديرة التي تحتوي على رفات القدّيسين، فضمّتها أيضًا إلى سلطة رؤسائها بدلاً من الأسقف. وبذلك، تمكنت من تحرير بعض الأديرة والمجتمعات الرهبانية من الهيمنة الأسقفية . وفي إطار تنفيذ هذه السياسة، أشرفت بالتيلد على عملية تدقيق شاملة للكنائس في المدن، كما أرسلت رسائل إلى الأساقفة ورؤساء الأديرة المعنيين، طالبة منهم أن يلتزم الرهبان التابعون لهم بالقواعد الرهبانية العامة، وأن يواظبوا على الصلاة من أجل الملك والملكة . وبفضل هذه الإجراءات، أصبحت العديد من الكنائس معافاة من التدخل الأسقفي المباشر[٦٨]، وتري

(68) Vita Sanctae Balthildis, P. 498; Jong, M., Imitatio Morum. The Cloister and Clerical Purity in the Carolingian World, In Frassetto , M., Medieval purity and piety essays on medieval clerical celibacy and religious reform , U.S.A, 1998, P.56; Corning, C., The Celtic and Roman traditions: conflict and consensus in the early medieval church , New York, 2006, P.48; Hen, Y., Roman Barbarians The Royal Court and Culture in the Early Medieval West, New York ,2007, P.119; Barbier, J., Le système palatial franc : genèse et fonctionnement dans le nord-ouest du *regnum*, In: *Bibliothèque de l'école des chartes*, T. 148, Paris, 1990, p. 276.

الباحثة ان ربما أثارت هذه السياسة حفيظة الأساقفة، الذين أُجبروا على التنازل عن سلطتهم على تلك الأماكن، بما في ذلك الإيرادات والهدايا التي كانت تُقدَّم إليهم، إذ أصبح المنتفع بها هم رؤساء كل دير، وليس الأسقف.

كما وقد قدّمت بالتيلد لتلك المؤسسات حوافز ثمينة، تمثّلت في حصانات قانونية وامتيازات ضريبية، وذلك لتشجيعهم على الامتثال للإصلاحات التي أمرت بها، كما طلبت منهم التزامهم بالصلاة من أجل الملكة، ومن أجل سلام المملكة واستقرارها [٦٩].

والملفت في سياسة بالتيلد الإصلاحية هو إدراكها العميق للعلاقة بين السلطة الدينية والسلطة السياسية، وبالتالي لم يكن قرارها بتحرير الأديرة من السيطرة الأسقفية مجرد إجراء تنظيمي ديني، بل كان خطوة استراتيجية تستهدف إعادة توزيع النفوذ الملكي داخل البنية الكنسية، بما يخدم المصلحة الملكية ويعزّز ولاء الأديرة للعرش مباشرة. ومن خلال هذا النهج، نجحت بالتيلد في خلق كيانات دينية شبه مستقلة عن الأساقفة، لكنها مرتبطة عضويًا بالسلطة الملكية. ولضمان ولاء هذه المؤسسات، لم تكتفِ بالأوامر، بل قدّمت حوافز حقيقية مثل الحصانات والإمتيازات، مما يدل على حنكتها السياسية وفهمها لآليات النفوذ والتأثير. وتري الباحثة أن هذا التداخل الذكي بين الدين والسياسة يشير إلى أن بالتيلد لم تكن مجرد راعية للكنيسة، بل كانت فاعلة ومؤثرة في تشكيل البنية الدينية نفسها، بما يضمن استقرار مملكتها وتكريس مشروعها الإصلاحي على المدى البعيد.

ولم يقتصر الإصلاح المؤسسي الذي قامت به بالتيلد على تحرير الجماعات الرهبانية من سيطرة الأساقفة فحسب، بل شملت إصلاحاتها أيضًا الأديرة التي تحتوي على رفات القديسين[٧٠]، فقد قامت بالتيلد بتحرير هذه الأديرة من سلطة الأسقف وجعلتها خاضعة مباشرة لها. وشملت هذه السياسة أديرة بارزة مثل دير سان دوني Saint Denis [٧١] بالقرب من باريس، والعديد من الأديرة الأخرى في

---

(69) Moreira, I, Bathild of Francia, P.77; Fouracre,P and Gerberding, R., Late Merovingian France, P. 111.

(٧٠) Relics المخلفات المقدسة هي رفات القديسين و ما قد يرتبط بهم من ملابس وأسلحة ويعتقد انها مصدر للبركة الشفاء والمعجزات ، وقد تزايدت مكانة المخلفات المقدسة وأصبح من المحتم علي البابوية إرضاء طلبات وإلتماسات رعاياها في أوربا المتلهفين علي الحصول علي رفات ومخلفات القديسيين، وإن كان عليها في الوقت ذاته المحافظة علي رصيدها من تلك الرفات، ولما كان من الصعب نظريا تفتيت رفات القديسيين فقد تم إختراع ما يسمي بمخلفات الإتصال Contact Relics وهي عبارة عن قطع ملابس توضع بجوار ضريح القديس لفترة ما حتي يصبح لها صفة القداسة أنظر الأمين عبد الحميد أبو سعدة : "التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى"، مجلة كلية الآلداب، جامعة المنصورة العدد ٣٥ ،أغسطس ٢٠٠٤م، ص ٤٠٣-٤٧٦ .

(٧١) دير القديس دوني يقع على بعد سبعة أميال شمال باريس، يعود تاريخ تأسيس كنيسة دير القديس دينيس إلى القرن الخامس. وقد بُني في الأصل لإيواء رفات قديس استشهد من القرن الثالث، يُشار إليه باسم دوني Denis، كان دوني واحدًا من سبعة أساقفة أُرسلوا لتحويل شعب بلاد الغال في عهد الإمبراطور الروماني ديكيوس Decius في في القرن الثالث، وأصبح أول أسقف لباريس. وأحد الشهداء المسيحيين في القرن الثالث الميلادي. وبحسب التقليد، فقد استُشهد في المكان الذي بُني فيه الدير لاحقًا.

منطقة نيوستريا، من بينها دير سان ميدار Saint Medard [٧٢] في سواسون، ودير سان جيرمان دي بري Saint Germain-des-Prés[٧٣]، كما حرصت بالتيلد على ممتلكات الأديرة، فقامت بإرسال رسائل عاجلة إلى رؤساء أديرة سان جيرمان دي بري، وسان دوني، وسان ميدار، إلى جانب العديد من الأديرة الأخرى، تحثّهم فيها على الالتزام بالنظام الرهباني، والحفاظ على ممتلكات الأديرة وأراضيها من التعديات أو الإهمال [٧٤]. كما أولى كلوفيس الثاني وبالتيلد دير سان دوني عناية كبيرة، إذ أصدر أمرًا ينص على أن كل ما مُنح أو سيُمنح للدير من أموال أو أشخاص من قِبل الملوك أو الأفراد، لا يجوز لأي من الأساقفة الحاليين أو اللاحقين، أو لأي شخص آخر، الاستيلاء عليه دون إذن ملكي صريح. وقد شدد على أنه لا يجوز لأحد أن يظن أن له الحق في إزالة الكؤوس أو الصلبان أو ملابس المذبح أو الكتب المقدسة أو الفضة أو الذهب أو أي مادة ثمينة أخرى، كانت أو ستكون موضع تبرع لكنيسة سان دوني، لاستخدامها في احتياجات كنائس المدينة[٧٥].

Cp. Scott, R., The Gothic Enterprise: a guide to understanding the Medieval cathedral, Caifornia, 2011, PP, 76-77.

[٧٢] يقع دير سان ميدار في مدينة سواسون Soissons في شمال فرنسا على مسافة جيدة من وسط المدينة، وهو من أهم الأديرة في منطقة نيوستريا، وقد أسسه الملك كلوتير الأول حوالي عام ٥٥٧م، في موقع يُقال إن القديس ميدار دُفن فيه، فقد أمر كلوتير الأول ببناء كنيسة تكريمًا للقديس ميدار، وأمر كلوتير بنقل جثمانه إلى سواسون بعد وقت قصير من وفاة الأسقف كما أسس كلوتير ديرًا ملحقًا بالكنيسة، ونصب هناك رجلًا يُدعى دانيال ٥٦٢م رئيسًا للدير مع ثلاثين راهبًا آخرين:

Cp. Donna, M., Soissons and the Royal Abbey of Saint-Médard: Historical Contexts for the Life and Works of Gautier de Coinci. In Medieval Paradigms: Essays in Honor of Jeremy duQuesnay Adams, edited by Stephanie Hayes-Healy, Vol. II, New York, 2005, PP. 150-151.

[٧٣] أسس دير سان جيرمان دي بري عام ٥٤٠ م علي الملك شيلديبر Childebert (٥١١-٥٥٨ م) وكان الهدف من بناء الدير أن شيلدبير بعد رحلة استكشافية ضد القوط الغربيين في إسبانيا، عاد شيلديبرت ومعه قطعتان أثريتان مهمتان - رداء القديس فنسنتSaint Vincet من سرقسطة Saragoss وصندوق ذخائر فضي مصمم لحمل جزء من الصليب الحقيقي – وأنشأ هذا الدير الذي أطلق عليه في البداية دير سانت كروا سانت فنسنت Saint croix Saint Vincet ، كما كان يُطلق عليه آنذاك، لإيواء القطع الأثرية، ثم بعد ذلك دُفن شيلدبر في كنيسة الدير عام ٥٨٨م ، كما دُفن عام ٥٧٦م جيرمانوس Germanus وهو الرجل الذي عيّنه شيلدبير أسقفًا لباريس، وبحلول منتصف القرن الثامن، كان الدير قد اتخذ اسم جيرمانوس وأعيد بناؤه بعد تدمير الفايكنج له مع إضافة دي بري "des prés" التي تُشير إلى أنه كان يقع في المروج خارج حدود المدينة.
Cp. Ayers, A., The Architecture of Paris: An Architectural Guide,London, 2004, P.125.

[74] Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.24; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.

[75] Levillain, L., Études sur l'abbaye de Saint-Denis à l'époque mérovingienne, In Bibliothèque de récole des chartes, T, 87, Paris, 1926, p.23.

وتري الباحثة هنا أن هذا القرار يُظهر مدي حرص كلوفيس الثاني وبالتيلد على حماية ممتلكات الكنيسة وضمان استقلاليتها، خصوصًا في ظل الصراعات المتكررة بين الأساقفة ورؤساء الأديرة على النفوذ والموارد. كما يُمكن اعتبار هذا المرسوم أحد ملامح تطور العلاقة بين الملكية الميروفنجية والمؤسسات الكنسية، والتي بدأت تتعزز في هذه الفترة، حيث سعت السلطة الملكية إلى تأكيد سيادتها على الشؤون الدينية دون أن تفقد دعم المؤسسة الكنسية، التي كانت آنذاك ركيزة مهمة من ركائز الشرعية السياسية والدينية.

كما تري الباحثة أن بالتيلد لم تُجر إصلاحًا دينيًا فقط، بل كانت تُعيد رسم خريطة السلطة داخل المملكة بذكاء شديد، فتحرير الأديرة التي تضم رفات القديسين من سلطة الأساقفة لم يكن أمرًا رمزيًا فحسب، بل هو خطوة مدروسة لتعزيز استقلال هذه المؤسسات وربطها مباشرة بالتاج. فالأديرة التي تحتوي على رفات مقدسة كانت تحظى بنفوذ روحي وشعبي كبير، وأي جهة تملك السيطرة عليها كانت تملك في الوقت نفسه رأسمالًا دينيًا وسياسيًا هائلًا. أدركت بالتيلد أن الهيمنة على هذه المراكز الدينية تُعزز الشرعية السياسية وتُقوي مكانة العرش أمام منافسيه، خاصة في ظل تصاعد دور الكنيسة في الحياة العامة. كما أن تأكيدها على حماية ممتلكات الأديرة يدل على أنها كانت ترى في هذه المؤسسات حلفاء دائمين للسلطة الملكية، بشرط أن تكون خاضعة لها مباشرة دون وساطة الأسقف، الذي كان يشكّل في بعض الأحيان سلطة موازية.

وهذا بخصوص الشق الأول من الإصلاح الديني الذي اتبعته بالتيلد، وهو الإصلاح الديري، أما الشق الثاني، والمتعلق بتأسيس أديرة جديدة، فنجد أن بالتيلد تعاونت مع زوجها كلوفيس الثاني في تأسيس الكثير من الأديرة وتوفير الأراضي التي ستُقام عليها. فقد قام إرشينوالد، بإشراف من كلوفيس الثاني وبالتيلد، بتأسيس دير لاني Lagny عام٦٤٤م [٧٦]، ثم دير بيرون Péronne للراهب الأيرلندي فيورسيFursey [٧٧]، كما قام كلوفيس الثاني بتوفير الأراضي التي أسّس عليها القديس

---

[٧٦] دير لانيLagny Abbey المعروف أيضًا باسم دير سان بييرAbbaye Saint-Pierre de Lagny ، يقع في منطقة نيوستريا في مدينة لاني-سور-مارن Lagny-sur-Marne وهو أحد الأديرة البارزة ، تم تأسيسه عام ٦٤٥م علي يد الراهب الأيرلندي القديس فيورسي(Saint Fursey) ، بدعم من إرشينوالد الذي منحه إمتيازا للحصول علي ارض من أجل تأسيس الدير.

Cp. Herbin, P., Mémoires du Pays de Lagny: La petite histoire dans la grande, Lagny-sur-Marne, 1976, P.26.

[٧٧] القديس فيورسيFursey ولد في أيرلندا، في مقاطعة كونّوت(Connacht) ، وذلك حوالي سنة 597م. وهو نبيلاً ومتميزًا بالتقوى، ومنذ صباه كان محبًا للفضيلة. اشتهر بصومه وصلاته الدائمة تربى في دير في بيئة رهبانية صارمة.

Cp. Bollandists. *Acta Sanctorum: Januarii*. Vol. II, Antwerp, 1643. p. 36.

فيليبير Philibert [٧٨] ديره في جوموييج Jumièges [٧٩] وبعد وفاة كلوفيس الثاني، واصلت بالتيلد تمويل هذا الدير أيضًا[٨٠].

أسست باتيلدا دير كوربي Corbie [٨١] شرق مدينة أميان Amiens ما بين عامي ٦٥٧-٦٦١م وزودته برهبان ورئيس دير من لوكسوي Luxeuil[٨٢]، كما قامت ببناء دير شيل Chelles للفتيات

[٧٨] وُلد فيليبير في إقليم إولس Eaulse في جاسكوني Gascony، التي كانت آنذاك مقرًا أسقفيًا، ولكن نُقل منذ ذلك الحين إلى أوش Auch بعد أن عين والده، فيليبالد، أسقفًا على فيك-جور Vic Jour، تلقى فيليبير تعليمه على يد والده، الذي أرسله إلى بلاط كلوتير الثاني (٦١٣- ٦٢٩م)، حيث ترك القديس أوين وتعليماته انطباعًا عميقًا عليه وسلك النظام الرهباني منذ سن العشرين في دير ريبيس Rebais. ثم بعد ذلك منحه كلوفيس الثاني وزوجته بالتيلد أرضًا في غابة جوموييج، حيث أسس الدير الذي يحمل اسمه، ازداد عدد الرهبان في جومياج في وقت قصير لدرجة أنه أصبح يضم تسعمائة راهب. كما بنى ديرًا للنساء في بافيلي Pavilly، كان للقديس فيليبير بعض الأعمال في البلاط ففي عام ٦٧٤ م، فوبخ بجرأة إيبروين، عمدة القصر، على أفعاله الظالمة العديدة. جلب عليه هذا انتقام ذلك الوزير القاسي، الذي اضطهدته بعنف شديد لدرجة أنه اضطر إلى ترك جومياج ثم اعتزل القديس في بواتييه Poitiersثم إلى جزيرة هيروHero الصغيرة على ساحل بواتو Poitou، حيث أسس ديرًا كان يُعرف سابقًا باسم هيرموتييه Hermoutier ثم توفي في هيرموتيه عام ٦٨٤م.

Cp. Butler, A., The Lives of The Primitive Fathers, Martyrs, and other Principal Saints, compiled from original monuments, and other authentic records, London, 1813, pp, 310-311.

[٧٩] جوميج Jumièges تقع في منطقة نورماندي شمال فرنسا، بمحاذاة نهر السين، تشتهر بوجود دير جوموييج(Abbaye de Jumièges) ، أحد أقدم وأهم الأديرة البندكتي، أُسّس الدير عام ٦٥٤ م على يد القديس فيليبير Saint بدعم من البلاط الملكي الميروفنجي.

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.978.

[80] Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.23; Moreira, I, Bathild of Francia, P.78; Dunn, M., The emergence of monasticism: from the Desert Fathers to the early Middle, Oxford, 2003, P. 191; Fosx, Y., Power and Religion, p.38.

[٨١] دير كوربي يقع في مدينة كوربي Corbie التي تقع في منطقة بيكاردي Picardy في شمال فرنسا، على بعد ١٥ كم شرق أميان Amiensيتموضع الدير على ضفاف نهر سوم Somme مما جعله موقعًا استراتيجيًا ودينيًا مهمًا خلال العصور الوسطى.

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.458.

[٨٢] دير لوكسوي يقع في شرق وسط فرنسا، اسّس حوالي 590م على يد الراهب الأيرلندي القديس كولومبانوس*Columbanus* ، كان دير لوكسوي من أوائل المراكز التي أدخلت النمط الرهباني الأيرلندي إلى فرنسا، واعتُبر نموذجًا لدور الرهبان في التبشير والإصلاح.

Cp. Neuhofer, M., In the Benedictine Tradition: The Origins and Early Development of Two College Libraries, Oxford, 1999, P.17

وزودته براهبات من دير من جوار Jouarre [٨٣]، وقد نال دير شيل الاهتمام الأكبر من بالتيلد من حيث متابعته والإشراف عليه واختيار مكانه [٨٤] ، وحينما كانت تبحث بالتيلد عن مكان لتؤسس فيه دير الفتيات، طلبت من القائمين على هذا العمل البحث عن مكان يمكن للإنسان أن يتأمل السماء منه لذلك وقع الاختيار على منطقة شيل التي تقع على الضفة اليمنى لنهر مارن Marne، أحد روافد نهر السين، وعلى بعد ثلاثين ميلاً شرق باريس[٨٥]، ويحد الدير من الشمال فرع صغير من نهر مارن، ويقع في مكان لطيف، حيث أحاطت الغابات بالمكان وكانت هذه الغابات موضع تقدير منذ فترة طويلة من قبل ملوك الميروفنجيين كمناطق صيد، وكان القصر الملكي في شيل يعتبر مكان إقامة مفضل لأسرة باتيلد، وبذلك فإن هذا المكان حقق رغبة بالتيلد من حيث الموقع والراحة النفسية [٨٦]. كما كان لنقل مجموعة من الرهبان من دير قائم إلى دير جديد تأثير هام في تسريع نمو المؤسسة الجديدة[٨٧].

وضعت بالتيلد السيدة بيرتيلا Bertilla [٨٨] رئيسة لدير شيل، وكان لهذا الدير اهمية خاصة وشهرة واسعة، فجذب العديد من النساء مثل هيريسويث Hereswith، والدة الملك إيلدوولف Ealdwulf من شرق أنجلياAnglian، التي زارت دير شيل عام ٦٦٢ م ثم مكثت به وأصبحت راهبة في دير شيل [٨٩].

وقامت بالتيلد بمنح الأديرة الجديدة الكثير من الأراضي من أجل دعم تلك الأديرة لكي تكون هذه الأراضي مصادر دخل، فتنازلت عن مزارع بأكملها وغابات كبيرة تخلت عنها من اجل التبرع بها للمؤسسات الدينية[٩٠]، وكانت الإيرادات والأراضي الزراعية والغابات كلها ضرورية كموارد مالية للأديرة لتوفير الخشب والاحجار والزجاج الملون، والمذابح والأواني من الفضة والذهب وجدران وأبواب مفروشة

---

(83)Mabilon, J., Annales Ordinis S. Benedicti Occidentalium Monachorum, Paris, 1739, P.409 ; Hen, Y., Culture and Religion In Merovingian Gaul A.D. 481-751, New York, 1995, P. 55; Moreira, I, Bathild of Francia, P.80; Bouchard, C., Rewriting saints and ancestors: memory and forgetting in France, 500-1200, Philadelphia., 2015, P.200; Fox, Y., Power And Religion, P.42.

(84) Vita Sanctae Balthildis, P. 490.

(85) La Porte, J., Les reliques de Chelles, une sépulture royale mérovingienne. In: *Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France*, 1987, 1989. p. 290.

(86) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.24

(87) Hen, Y., Culture and Religion, P. 55; Cristiani, M., La sainteté feminine, P.420.

(٨٨) برتيلا ولدت عام ٦٢٩م وهي تنتمي لعائلة نبيلة في سواسون Soissons، وقد عارضا والداها في بداية الامر إلتحاقها بالرهبنة ، لكنهما استجابا ووضعاها بعد ذلك في دير جوار، بالقرب من مو Meaux، ثم اصبحت بيرتيلا رئيسة دير جوار ، وعندما أسست الملكة بالتيلد دير شيل على نهر المارن، اخذت بيرتيلا وبعض الرهبات لتأسيس دير شيل ، وكانت بيرتيلا أول رئيسة دير لشيل، ومكثت به لمدة ستة وأربعين عامًا وفي عهد بيرتيلا، أصبح دير شيل واحد من أهم مدارس الدين الشهيرة التي لجأت إليها السيدات عندما أردن التدريب على الحياة الرهبانية؛ وبقي البعض هناك، وعاد البعض الآخر بعد فترة لنقل خبراتهم إلي موطنهم، ولغرس حدائق من الأشجار الحية التي تُثمر أعمالًا صالحة توفت برتيلا عام ٧٠٥م : انظر

Cp. Dunbar, A., *Dictionary of Saintly Women*. 2 vols. London, 1904, p.121.

89) La Porte, J., La reine Bathilde, P.155.(

(90) Rosenwein, B., Negotiating space power, p.82.

بأغطية نسيجية ثقيلة[٩١]، وقد كانت هدايا الأراضي مصحوبة بهدايا من المال ومواد ثمينة أخرى، لذلك قامت بالتيلد بالتبرع بحزامها الذهبي الخاص [٩٢].

إن تنازل بالتيلد عن المزارع والغابات لصالح الأديرة الجديدة لا يُفهم فقط بوصفه فعلًا تعبديًا، بل هو أيضًا تعبير عن فهم استراتيجي لدور الاقتصاد في ترسيخ حضور المؤسسة الدينية. فقد احتاجت الاديرة إلى مصادر دخل مستدامة لضمان استقلالها وقدرتها على الإنشاء والبناء وتقديم الخدمات. فالإشارة إلى استخدام الخشب، الأحجار، الزجاج الملون، والذهب والفضة تؤكد كيف أن مشاريع الإعمار الرهبانية كانت مشاريع معمارية وفنية كبرى تتطلب دعامة مالية، وبذلك فإن تصرف بالتيلد كان هو الأصح، كما إن تبرع بالتيلد بحزامها الذهبي الشخصي لا يمثل فقط تجل للرمزية الدينية فحسب، بل يعكس أيضًا نزعًا لمظاهر السلطة والثراء الدنيوي، بما يحول هذا الفعل من مجرد "هبة" إلى تصرف يدل على الوازع الديني لدي بالتيلد، وبذلك فإن كل أفعال بالتيلد تعكس فهمها العميق للدور الاقتصادي والروحي للمؤسسات الدينية، ويظهر توازنًا بين العبادة والواقعية الاقتصادية، ما يدل على ذكاء استراتيجي.

إنهاء وصاية بالتيلد٦٦٥م:

توفي إرشينوالد، عمدة القصر، عام ٦٥٩م، وحزنت بالتيلد عليه حزنًا شديدًا[٩٣]. فقد كانت وفاته خسارة جسيمة بالنسبة لها، إذ خلفه رجل عنيف وجشع يُدعى إيبروين Ebroin [٩٤]، تولى منصب عمدة القصر. وسرعان ما شعرت بالتيلد بالحاجة إلى إحاطة نفسها بأشخاص مخلصين يدعمونها في مواجهة إيبروين ونفوذه المتزايد، فاستعانت بشخص يُدعى ليوديجارLeodegar، المعروف أيضًا باسم ليجيه Léger[٩٥]، وكان مشهودًا له بالحكمة، وضليعًا في علم الكتب الكنسية والقانون المدني. استدعته

(91) Moreira, I, Bathild of Francia, p.79.
(92) Vita Sanctae Balthildis, p. 492.

(93) Toussaints, D., Nouvelles Annales de Paris jusqu'au règne de Hugues Capet, Paris, 1853, p.103.

(94) Chronicon Fredegarii Scholastici, in: Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome II, ed. by Dom Martin Bouquet, Paris, 1738, p.449.

(٩٥) ليجيه Leger او ليدجر Ledger، او ليوديجارLeodegar ولد عام ٦١٦ م ، في قرية صغيرة عند ملتقي نهر الراين Rhin ونهر إيلا Illa لعائلة نبيلة، تلقى تعليمه في بلاط الملك كلوتير الثاني Clotaire II، أصبح شماسًا في العشرين من عمره ورئيس شمامسة بعد ذلك بوقت قصير، ثم أصبح رئيسًا لدير سانت ماكسنت Saint Maixent عام ٦٥٣م، وقام بعمل العديد من الإصلاحات في هذا الدير، ثم اختير أسقفًا لأوتون Autun من قِبل "باتيلد" حكم كأسقف إصلاحي: بنى الكنائس، ورعى الفقراء، وعقد المجامع، ولكنه أيضًا، كغيره من أساقفة عصره، انخرط في الشؤون الدنيوية والبلاطية. في عام م٦٧٣، بعد وفاة كلوتير الثالث، دعم شيلدريك الثانيChildericII ضد مؤامرات إبروين، عمدة قصر نيوستريا. سارت الأمور على ما يرام لفترة من الوقت، لكن شيلدريك تزوج من قريبة له ضد نصيحته ودون موافقة الكنيسة. فقد ليجه مكانته ونُفي إلى لوكسويل

بالتيلد إلى القصر، ثم عينته أسقفًا على مدينة أوتونAutun [٩٦]. كما استعانت بالتيلد بشخص آخر يُدعى سيجبراندSigobrand ، وعيّنته أسقفًا على باريس، في حين كان أسقف أوتون رجلاً متواضعًا ولطيفًا ومحبوبًا من الجميع، أما سيجبراند، فقد كان مكروهًا من قِبل النبلاء[٩٧]. كذلك، قامت بتعيين إيريمبرت Ermebert أسقفًا على مدينة تولوزToulouse، كما عيّنت جينيس أسقفًا على مدينة ليون Lyonعام ٦٦٠م، وهو الذي كان في السابق مسؤولاً عن توزيع صدقات الملكة خلال عهد كلوفيس الثاني. وقد أثار قيام بالتيلد بتعيين هؤلاء الأساقفة استياء النبلاء، مما زاد من حدة التوتر بينهم وبينها. وإزاء ذلك، شعر إيبروين بضعف نفوذه، فقرر التخلص من سيجبراند، فقام بقتله علنًا عام ٦٦٤م. وقد أثار هذا التصرف ألمًا عميقًا وغضبًا شديدًا في نفس بالتيلد[٩٨].

وبعد مقتل سيجبراند، ازدادت حدة الاضطرابات السياسية داخل نيوستريا، وبدأ التصدع يتسع بين سلطة بالتيلد وسلطة عمدة القصر إيبروين، الذي بدأ يحظى بدعم متزايد من النبلاء. وقد أدّى هذا التشابك في مراكز النفوذ إلى اضطراب وقلق عام في الأوضاع السياسية. وبحلول عامي ٦٦٤-٦٦٥م، كان كلوتير الثالث قد بلغ الثالثة عشرة من عمره، بينما كانت السيطرة الفعلية على القصر في يد إيبروين، الذي تمكّن من ترسيخ نفوذه بدعم قوي من النبلاء. وفي ظل هذه التوترات، قرر النبلاء، بالتعاون مع إيبروين، إنهاء وصاية بالتيلد رسميًا عام ٦٦٥م[٩٩]. وتم نفيها إلى الدير النسائي الكبير الذي كانت قد

Luxeuil. ومع ذلك، أعاد ثيودريك ليجيه إلى أوتون، لكن إبروين طارده بجيش. استسلم ليجه لتجنب إراقة الدماء، فأُصيب بالعمى. مُشَوَّهًا، وأخيرًا قُطِعَ رأسه. وتوفي عام ٦٧٩م على الرغم من أن وفاته كانت لأسباب سياسية، إلا أنه كان يُنظر إليه على أنه شهيد.

Cp. Farmer, D., Oxford Dictionary of Saints, Oxford, 2003, p. 267.

[٩٦] اوتون تقع في إقليم سون ولوار (Saône-et-Loire) في منطقة بورجوندي Bourgogne شرقي فرنسا. تأسست في عهد الإمبراطور الروماني أوغستوس في القرن الأول الميلادي تحت اسم "أوغوستودونوم Augustodunum وفي العصور الوسطي في القرن السابع أصبحت اوتون مركزًا دينيًا هامًا، واشتهرت بـ أسقفيتها القوية، لا سيما مع صعود شخصيات بارزة مثل القديس ليجيه Saint Léger.

Cp. Bouillet, M., Dictionnaire universel p.147.

(97) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.33.

(98) Wood, I.,The Merovingian Kingdoms, p.199.

(99) La Porte, J., La reine Bathilde, PP.157-158; Barthelemy., M., Les Vies De Tous Les Saints, P.521; M cNamara, A, and Halborg, J., and Whatly, G.,y. Sainted Women, P. 266.

أسسته بنفسها، وهو دير شيل حيث عاشت فيه السنوات الخمس عشرة الأخيرة من حياتها، من عام ٦٦٥م حتى وفاتها عام ٦٨٠م [١٠٠].

إن قيام بالتيلد بتعيين اساقفة تولوز وباريس واوتون نظر إليه إيبروين على إنه هيمنة سياسية، فهي بذلك تسعي لعمل شبكة من الحلفاء من اجل اكتساب الهيمنة السياسية والإستراتيجية حيث كانت تولوز تقع في الجنوب الفرنجي وهي من المناطق ذات الأهمية الاستراتيجية، سواء من الناحية السياسية أو الدينية، مما يجعل تعيين أسقف مخلص للبلاط، وملتزم بالقيم الإصلاحية، أمرًا ذا بعد سياسي واضح، وبذلك تشكل حادثة مقتل سيجبراند دليلًا على الاضطرابات السياسية والدينية التي وقعت في وقت باتيلد، حيث كانت بالتيلد تهدف إلى تعزيز هيبة الكنيسة واستقلاليتها عن النبلاء وعمدة القصر. وكان سيجبراند من بين أولئك الأساقفة الذين تم اختيارهم بناءً على رغبة بالتيلد وبذلك فهو جزء من المشروع الإصلاحي، مما جعله هدفًا لصراع محتوم مع إيبروين، الذي مثّل النزعة السلطوية لعُمد القصور، وسعى للهيمنة على التعيينات الكنسية، ومع غياب الحماية السياسية التي وفّرتها باتيلد للكنيسة، أصبح الأساقفة عرضة للقمع، وتجلى ذلك في النهاية المأساوية لسيجبراند، التي تُعد تعبيرًا صارخًا عن انهيار التوازن الذي حاولت باتيلد ترسيخه بين العرش والكنيسة ومن السابق نري أن السبب في إبعاد بالتيلد وعزلها بداخل دير شيل هو خوف النبلاء من ردها على مقتل سيجبراند فقاموا بعزلها داخل دير شيل لإبعادها عن المشهد السياسي.

إعتزال بالتيلد بداخل دير شيل عام ٦٦٥م حتي وفاتها عام ٦٨٠م:

اجبرت الملكة بالتيلد في عام ٦٦٥م على الانعزال في دير الفتيات الذي أسسته في شيل، وعلى الرغم من أنها كانت تأمل في استقبال حار من الراهبات، فقد واجهت في البداية رفضًا وتحفظًا منهن، كان الراهبات في الدير يخشين أن وجود أميرة بينهن قد يجلب الكثير من المتاعب والاضطرابات، إذ ظنّوا أن تواجدها سيؤدي إلى مشاكل مرتبطة بالحياة الملكية وصراعات البلاط. عندما علمت بالتيلد بمخاوف الراهبات، أبدت تفهمًا كبيرًا تجاه مشاعرهن، وأكدت لهن من خلال سلوكها البسيط والمتواضع أنها ليست أفضل منهن. فقد تعاملت مع الجميع كأنها واحدة من الراهبات، متخلية عن هويتها الملكية، وعاشت حياتها في الدير بكل تواضع وخدمة ولم تميز نفسها عنهن، بل قدمت مثالًا رائعًا في التواضع والانسجام مع الحياة الرهبانية، وتعاملت مع الجميع على أساس انها امرأة عادية راهبة وليست ملكة وأمًا لثلاثة ملوك[١٠١]، تعاملت بالتيلد مع جميع الراهبات كبناتها، وخدمتهن بتفانٍ، وأظهرت

(100) Vita Sanctae Balthildis, P. 495; Cristiani, M., La sainteté feminine, p.424; Barthelemy., M., Les Vies De Tous Les Saints, P.521; Fouracre, P. and Gerberding, R., Late Merovingian France, P. 113; Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.35. Cristiani, M., La sainteté féminine du haut Moyen Âge, P. 425; Wemple, S., Woman in Frankish Society, p.68.

101) La Porte, J., La reine Bathilde, PP.158-159.(

للعذارى مثالًا مذهلًا في التواضع، حتى إنها كانت تخدم الأخوات بنفسها وتساعدهن في المطبخ، وقامت بتنظيف أكثر الأشياء اتساخ، بل وصل بها التواضع إلى حد حمل السماد إلى الحقول. وقد أدّت كل هذه الأعمال المتواضعة برضا، وطيب نفس [١٠٢]، وكانت تقضي يومها بين خدمة أخواتها الراهبات، والعناية بالراهبات المريضات، أما ما تبقّى من الوقت فكانت تمضيه في قراءة الكتب الدينية والتأمل، متفكّرة بعناية فيما كانت عليه، وما أصبحت عليه، وما ستكون عليه يومًا ما. ولم يشعر قلبها يومًا بالمرارة بسبب ذكريات المجد الماضي، بل كان كلّ اهتمامها منصبًّا على الحبّ الخالص لله [١٠٣].

كانت بالتيلد تتلقى زيارات من أبنائها، وفي ١٠ مارس ٦٧٣م، توفي ابنها كلوتير الثالث إثر إصابته بحمى شديدة، عن عمر يناهز ١٩ عامًا[١٠٤]. وقامت بالتيلد بنقل جثمان الملك كلوتير الثالث إلى دير شيل، وأقامت له جنازة مهيبة. وقد حاول إيبروين جلب ابن بالتيلد الثالث، تييري الثالث، إلى العرش وإعلانه ملكًا دون أخذ رأي النبلاء، الأمر الذي أثار رفضهم، فقاموا بالقبض على تييري الثالث وإيبروين، وتم جزّ شعر تييري الثالث وسجنه مع إيبروين في دير سان دوني في لوكسوي. وانتقل عرش نيوستريا إلى شيلدريك الثاني، الابن الثاني لبالتيلد، الذي كان متزوجًا من بليتشايلد؛ وهي زيجة جلبت الوفاق والسلام بين مملكتي نيوستريا وأوستراسيا.

ولكن هذا الهدوء لم يدم طويلًا، إذ استاء النيوستريون من الوصاية الأوسترازية التي مثّلها شيلدريك الثاني، وفي ٩ ديسمبر ٦٧٥م اغتيل شيلدريك، كما قُتلت زوجته الملكة بليتشايلد التي كانت حاملاً. وبعد فترة مضطربة، أُخرج تييري الثالث، الابن الثالث لبالتيلد، من دير سان دوني، ليُعاد تنصيبه ملكًا على نيوستريا عام ٦٧٩م [١٠٥].

وتوفت باتيلدا في الثلاثين من يناير ٦٨٠م[١٠٦]، وكانت قد عاشت في الدير الذي أسسته في شيل لمدة ستة عشر عامًا [١٠٧].

---

(102) Barthelemy., M., Les Vies De Tous Les Saints De France, P.522; Binet, E., La Vie Excellente De Sainte Balthilde, p.149.

(103) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, pp.36-37.

(104) Fredegarii Et Aliorum Chronica,P. 317; Cristiani, M., La sainteté feminine, P.420.

(105) Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.35; Toussaints, D., Nouvelles Annales de Paris, P.108.

(106) Karkov, C., The Art of Anglo Saxon, p.123; Geary, P., Readings in medieval history, P.157; Toussaints, D., Nouvelles Annales de Paris, P.108; La Porte, J., Les reliques de Chelles, P.291.

يتّضح مما سبق أن حياة بالتيلد لم تنفصل تمامًا عن الشأن السياسي حتى بعد اعتزالها الحياة العامة وانسحابها إلى دير شيل. فبرغم انعزالها النسبي، بقيت مرتبطة بمصير أبنائها، وأحداث البلاط، وتطورات الحكم في مملكة الفرنجة.
ويكشف مشهد وفاة كلوتير الثالث ونقله إلى شيل عن عمق العلاقة العاطفية التي كانت تربط بالتيلد بأبنائها، فضلًا عن مكانتها الملكية والدينية التي سمحت لها بإقامة جنازة مهيبة له في الدير الذي أسسته بنفسها.

ومن جهة أخرى، يُظهر الصراع السياسي الذي أعقب وفاة كلوتير هشاشة النظام السياسي الميروفنجي في تلك المرحلة، إذ لم يكن هناك توافق مؤسسي حول آلية انتقال الحكم، بل كانت المصالح الشخصية والقوى النبيلة تتحكم في مجرى الأمور، كما نرى في محاولة إيبروين تنصيب تييري الثالث.

ولعلّ أكثر ما يلفت النظر هو تعاقب المآسي على بالتيلد، إذ فقدت ابنًا آخر (شيلدريك الثاني) في حادث اغتيال مأساوي طال زوجته الحامل كذلك، وهو ما يعكس جوّ الصراع الدموي الذي كانت تعيشه الممالك الفرنجية.

خاتمة:

وفي الختام يجب التأكيد على عدة نقاط تم التوصل إليها من خلال البحث:

- كان لباتيلد دور فعّال وواضح في السياسة الفرنجية ولم يقتصر دورها على دعم زوجها، بل شاركت بنشاط في اتخاذ القرارات السياسية، خاصة بعد وفاة زوجها حين أصبحت الوصية على أبنائها، الذين صاروا ملوكًا. فقامت بدعم إصلاحات اجتماعية وقوانين تحمي الفئات الضعيفة، مثل العبيد والاطفال لذلك، يمكن القول إن دورها كان يتجاوز مجرد الدعم، إلى دور نشط مؤثر في السياسة الفرنجية.
- كان لبالتيلد دور مجتمعي بارز، خصوصًا في رعايتها الفقراء والمساهمة في تحرير العبيد، والإسهام في تأسيس الأديرة التي كانت مراكز خدمات اجتماعية وتعليمية ودينية.
- لم تكن بالتيلد مجرد وصية على العرش هامشية، بل فاعلة سياسية قوية في قلب الصراع على السلطة داخل الممالك الفرنجية. ففي الوقت الذي تميزت فيه أوستارزيا بعدم الاستقرار، برزت بالتيلد بوصفها طرفًا مركزيًا في الحفاظ على التوازن السياسي، وتصدي بالتيلد لمحاولة جريموالد الانقلابية مما يجسّد دورها كمدافعة عن السلالة الميروفنجية، إذ لم يكن همّها حماية

(107) Essarts, A., Sainte Bathild, P.244; La Porte, J., La reine Bathilde, p.159; Barthelemy., M., Les Vies De Tous Les Saints De France, P.523; Trochet, Ch., HISTOIRE De L'ABBAYE, p.41.

العرش فقط لأبنائها، بل أيضًا ضمان الاستقرار الداخلي داخل اوستارزيا. هذا الموقف يُعد تعبيرًا عن نضج سياسي ووعي عميق بمصالح الدولة والمجتمع، حيث لم تكتف بالدفاع، بل اتخذت خطوات هجومية أدت إلى إنهاء نفوذ جريموالد.

- يمكن اعتبار تأسيس الأديرة وتمويلها، ودعم الرهبنة، وتعيين رجال أكفاء في رتبة الأسقفية، ومهاجمة السيمونية، كلها أعمال تنم عن تقوى الملكة، لكنها أيضًا قابلة للتفسير السياسي فهي تدل على حنكة سياسة.
- لم تكن بالتيلد حاقدة على الفرنجة بالعكس، تحوّلها من العبودية إلى ملكة، ونجاحها في تكوين أسرة ملكية، يمكن أن يُفسر على أنه قبول واعتزاز بدورها الجديد، وربما شعرت بالتعويض. فسيرتها توضح أنها شخصية متسامحة وعازمة على خدمة مملكة الفرنجة وشعبها، وليس شخصًا يحمل ضغائن.

ويمكننا القول بأن السبب في إبعاد بالتيلد وعزلها بداخل دير شيل هو خوف النبلاء من قوتها السياسية ونجاحها السياسي وبالتالي خافوا من ردها على مقتل سيجوبراند فقاموا بعزلها داخل دير شيل لإبعادها عن المشهد السياسي، ولكن بالتيلد لم تعترض لأن الاعتزال في الأديرة كان أمرًا شائعًا بين الملكات، كفعل تعبدي وزهد ديني بعد حياة مليئة بالمسؤوليات السياسية والاجتماعية بالإضافة إلى كونها شخصية متدينة زاهدة.

ملاحق

خريطة توضح ممالك نستريا وبرجندي وأوستارزيا

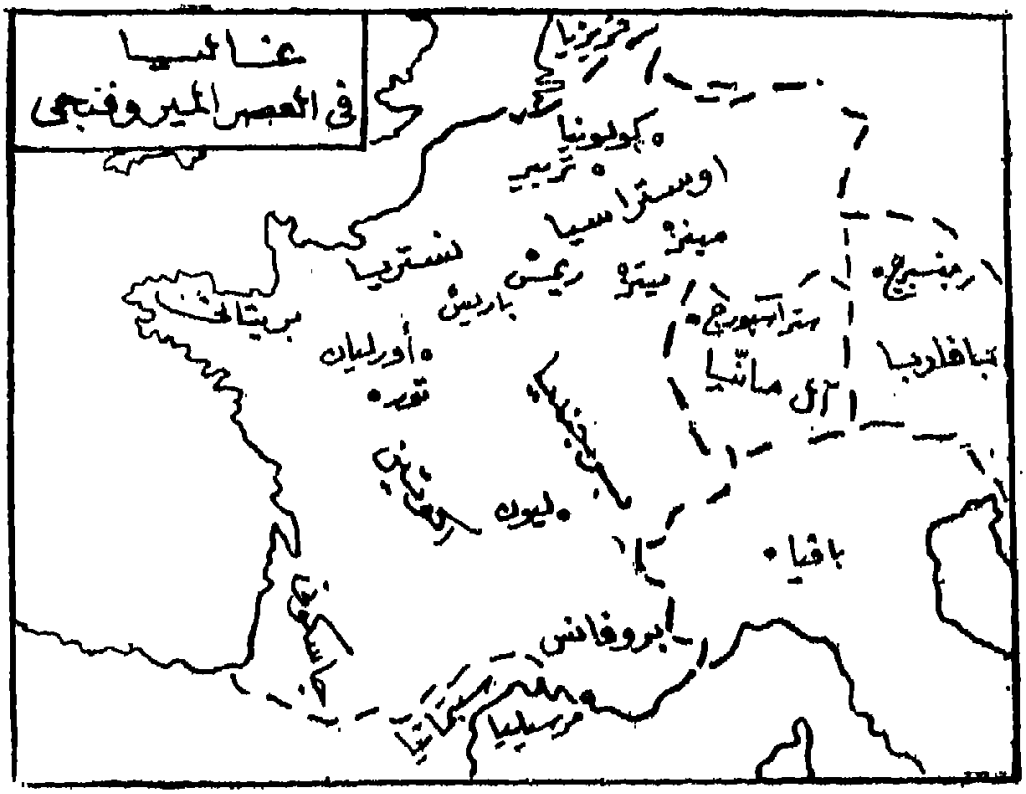

نقلاً عن :

سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا في العصور الوسطي، بيروت، ١٩٧٦، ص ١٥٠.

قائمة المصادر والمراجع:

أولا: المصادر الاجنبية:

Bollandists, Acta Sanctorum: Januarii. Vol. II, Antwerp, 1643.

Fredegarii, Chronicon Fredegarii Scholastici, in: Recueil des historiens des Gaules et de la France, Tome II, ed. by Dom Martin Bouquet, Paris, 1869.

————, Fredegarii Et Aliorum Chronica Vitae Sanctorum, edited by Krusch, In: Monumenta Germaniae Historica, T, II, Hnnoverae, 1888.

Krusch, B. Vita Sanctae Balthildis, In Monumenta Germaniae Historica, T, II , Hnnoverae, 1888.

Liber Historiae Francorum In Monumenta Germaniae Historica, edited by Krusch T, II, Hnnoverae, 1888.

Mabilon, J. Annales Ordinis S. Benedicti Occidentalium Monachorum, Paris, 1739.

المراجع الاجنبية:

Ayers, A. The Architecture of Paris: An Architectural Guide, London, 2004.

Baillet, A. Les Vies des Saints, Composées Sur Ce Qui Nous Est Resté De Plus Autentique & De Plus Aſſuré Dans Leur Hiftoires Difpofées ſelon L'ordre des Calendriers & Des Martyrologes, T.10, Paris, 1839.

Barthelemy, M. Les Vies De Tous Les Saints De France Depuis Le Premier Siecle Du Christianisme Jusqu'A Nos Jours, T, 7, Versailles, 1866.

Binet, E. La Vie Excellente De Sainte Balthilde Royne De France Fondatrice and Religieuse De Chelles, Paris, 1824.

Bouchard, C. Rewriting saints and ancestors: memory and forgetting in France, 500-1200, Philadelphia., 2015.

Bouillet, M. Dictionnaire universel d'histoire et de géographie, Paris, 1878.

Butler, A. The Lives of The Primitive Fathers, Martyrs, and other Principal

Saints, Compiled from original Monuments, And Other Authentic Records, London, 1813.

Canby, C. & Lemberg, D. Encyclopedia of Historical Places, New York, 1984.

Corning, C. The Celtic and Roman Traditions: Conflict and Consensus, in The Early Medieval Church, New York, 2006.

Donna, M. Soissons and the Royal Abbey of Saint-Médard: Historical Contexts for the Life and Works of Gautier de Coinci. In Medieval Paradigms: Essays in Honor of Jeremy du Quesnay Adams, edited by Stephanie Hayes-Healy, Vol. II, New York, 2005.

Dunbar, A. Dictionary of Saintly Women. 2 vols. London, 1904.

Dunn, M. The emergence of monasticism: from the Desert Fathers to the early Middle, Oxford, 2003.

Duruy, V. The History of The Middle Ages, translated by Whitny, M., New York, 1891, p. 60. Fox, Y., The Merovingians in Historiographical Tradition from the Sixth to The Sixteenth Centuries, New York, 2023.

Tradition fromrd Dictionary Of Saints, Oxford, 2003.

Fouracre, P. The New Cambridge Medieval History. Volume 1: c.500–c.700, Cambridge, 2005.

Fouracre, P & Gerberding, R. Late Merovingian France: History and Hagiography, 640-720, Manchester, 1996.

Fox, Y. Power And Religion in: Merovingian Gaul Columbanian Monasticism and the Frankish Elites, United Kingdom,2014.

Frasetto, M. The Early Medieval World from the Fall of Rome to the Time of Charlemagne, London, 2013.

Geary, P. Readings in medieval history, Canada, 2010.

Harrison, D. The Age of Abbesses and Queens Gender and Political Culture in Early Medieval Europe, England, 1998.

Hen, Y. Culture and Religion, in: Merovingian Gaul A.D. 481-751, New York, 1995.

Herbin, P. Mémoires du Pays de Lagny: La Petite Histoire Dans La Grande, Lagny-Sur-Marne, 1976.

Houel, Ch. Annales Des Cauchois Depuis Les Temps Celtiques Jusqu'A 1830, Paris,1847.

Jong, M. Imitatio Morum. The Cloister and Clerical Purity in the Carolingian World, in: Frassetto, M. Medieval Purity and Piety Essays on Medieval Clerical Celibacy and Religious Reform, U.S.A, 1998.

Karkov, C. The Art of Anglo Saxon England, England, 2011.

Littlewood, I. The Rough Guide Chronicle France, London, 2002.

M cNamara, A & Halborg, J. & Sainted Women of the Dark Ages, London, 1992.

Whatly, G.Y.
Moreira, I. Bathild of Francia Anglo Saxon Slave, Merovingian Queen, and Abolitionist Saint, Oxford, 2024.

Nelson J. L. Queens as Jezebels: The Careers of Brunhild and Balthild in Merovingian History, in D,Baker (ed), Medival Women, Studies in church History Subsidia, Oxford, 1978.

Neuhofer M. in the Benedictine Tradition: The Origins and Early Development of Two College Libraries, Oxford, 1999.

Rosenwein, B. Negotiating space: power, restraint, and privileges of immunity in early medieval Europe, New York, 1999.

Schulenburg, J. Forgetful Of Their Sex Forgeteful of Their Sex Female Sanctity and Society, Ca 500-1100, Chicago, 1998.

Toussaints, D. Nouvelles Annales de Paris jusqu'au règne de Hugues Capet, Paris, 1853.

Trochet, Ch. Histoire De L'abbaye Royale De Notre-Dame De Chelles, Paris, 1889.

Wemple, S. Woman in Frankish Society: Marriage and Cloister 500-900, Philadelphia, 1981.

Wood, I. The Merovingian Kingdoms, 450-751, London, 1994.

المقالات الاجنبية:

Barbier, J. Le Système Palatial Franc: Genèse Et Fonctionnement Dans Le Nord-Ouest Du Regnum, In: Bibliothèque De L'école des Chartes, T. 148, Paris, 1990, Pp. 245-299.

Cristiani, M. La Sainteté Féminine Du Haut Moyen Âge Biographie et Valeurs.

Depreux, P. Princes, princesses et nobles étrangers à la cour des rois mérovingiens et carolingiens : alliés, hôtes ou otages , InActes des congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public ,Paris, 1999 , pp. 133-154.

Essarts, A. Sainte Bathild, in: Le Correspondant Recueil Périodique. Religion, Philosophie, Politique, Sciences, Littérature, Beaux-Arts, T.42, Paris, 1853. in Publications de l'École Française de Rome, Paris, 1991, pp. 385-434

Jong., M. Queens And Beauty, in the Early Medieval West: Balthild, Theodelinda, Judith', in: C. La Rocca (Ed.), Agire Da Donna. Modelli E Pratiche Di Rappresentazione (Secoli Vi-X). Collection Haut Moyen Âge 3 (Turnhout, 2007), Pp. 235-48.

La Porte, J. La Reine Bathilde Ou L'ascension Sociale D'une Esclave, in Publication de La Ville De Maubeuge Diffusion Jean Touzot, Maubeuge, 1990, pp 147-167.

————, Les Reliques De Chelles, Une Sépulture Royale Mérovingienne.

In: Bulletin De La Société Nationale Des Antiquaires De France, 1987, 1989. Pp. 290-303.

Levillain, L. Études sur l'abbaye de Saint-Denis à l'époque mérovingienne, in Bibliothèque de récole des chartes, T, 87, Paris, 1926, pp. 20-97.

المقالات العربية:

- الأمين عبد الحميد أبو سعدة (الدكتور): "التوظيف السياسي لرفات القديسين ومتعلقاتهم المقدسة في أوربا العصور الوسطى"، مجلة كلية الآداب، جامعة المنصورة العدد ٣٥، أغسطس ٢٠٠٤م، ص.ص ٤٠٣-٤٧٦.
- انجي محمد محمد حلمي (الدكتور)، الصائغ ايلوي (٥٨٨-٦٦٠م) وعمله في البلاط الميروفنجي، ثم أسقفاً على نويون، مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد، مجلد ١٠، العدد ١٩، إبريل ٢٠٢٤، ص.ص ١٣٧٠-١٣٩٩.
- انجي محمد محمد حلمي(الدكتور)، اعمال القديسة هيلدجارد (١٠٩٨- ١١٧٩) وظهورها على الساحة السياسية والدينية من خلال خطاباتها،مجلد١١، إبريل،٢٠٢٠،ص. ص١٥٣-١٨٦ .
- سونيا عبد الوهاب عبد ربه غازي (الدكتور)، القديسة راديجوند Radegund: ودورها الديني في بواتييه قراءة في سيرة القديسات خلال العصر الميروفنجي (٥٢٠م – ٥٨٧م)، مجلة المؤرخ المصري المجلد ٦٢، العدد ١، يناير ٢٠٢٣، ص. ص ١٠٧-١٥٤.
- هناء محمود شمس(الدكتور)، المرأة الميروفنجية بين الانتقام والمؤامرات والاغتيالات السياسية (٤٦٦م -٧٤١م)، حولية سيمنار التاريخ الإسلامي والوسيط - المجلد ١١ (ديسمبر - ٢٠٢٣) ص. ص، ٣٧٣-٤٦٨.

المراجع العربية:

- إدوار بروي، تاريخ الحضارات العام القرون الوسطي، ترجمة يوسف أسعد داغر، فريد م. داغر، بيروت، ١٩٨٦.
- س ابن السكن، الموسوعة العربية العالمية، الرياض،١٩٩٩.
- سعيد عبد الفتاح عاشور، تاريخ اوروبا في العصور الوسطي، بيروت، ١٩٧٦.
- محمد محمد مرسي الشيخ الممالك الجرمانية في أوروبا في العصور الوسطي القاهرة ١٩٧٥.
- محمود سعيد عمران: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطي، القاهرة، ١٩٨٦.
- محمود محمد الحويري، رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، القاهرة، ١٩٩٥.
- نورمان ف كانتور، التاريخ الوسيط قصة حضارة البداية والنهاية، ترجمة قاسم عبده قاسم، القاهرة ١٩٩٧.